الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي العقيد آكلي محند أولحاج بالبويرة

معهد اللغات والأدب العربي

قسم اللغة العربية وآدابها

دلالات الهزل في كتابات الجياحظ البخلاء أنموذجا

مذّكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس

إعداد الطالبتين:

1- نبيلة لخمي

2- عمرية بوذترن

إشراف الأستاذة:

د.محمد الهادي بوطار

السنة الجامعية: 2009- 2010

شكر وتقدير وعرفان

نتوجه بأسمى معاني الشكر والتقدير للأستاذ المشرف: طيبي عيسى

جزاه الله خيرا، لم

يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته السديدة.

كما نقدم الشكر وننسب الفضل إلى أصحابنا الذين ساعدونا في

إنجاز هذا البحث،

وإلى كل الزميلات والزملاء.

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

صدق الله العظيم.

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ..ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك..ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك..الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة..وأدى الأمانة..ونصح الأمة..إلى النبي الرحمة ونور العالمين

لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار..إلى من علمني العطاء دون انتظار..

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار..أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار.. وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد

والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب ..وإلى معنى الحنان والتفاني ..إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاءها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمي العزيزة

إلى من بهن أكبر وعليهن أعتمد، إلى شموع متقدة تنير ظلمة حياتي..إلى من بوجودهن أكتسب قوة ومحبة لاحدود لها..إلى من عرفت معهن معنى الحياة

أخواتي..(كهينة، نجاة، إيمان، حياة)

إلى أخواي ورفيقا دربي في هذه الحياة ..بدونكما لاشيء معكما أكون أنا وبدونكما أكون مثل أي شيء..وفي نهاية مشواري أريد أن أشكركما على مواقفكما النبيلة..إلى من تطلعتما لنجاحي بنظرات الأمل..(فتحي، محمد)

إلى من تحلوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء وينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير، إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم

صديقاتي..(فتيحة، زاهية)

إلى التي تحملت معي مشاق البحث وتقاسمت معي لحظات اليسر والعسر: سعاد.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا البحث المتواضع.

فايزة

الإهداء

الحمد لله على كل شيء أما بعد أهدي ثمرة مجهودي إلى:

من علمتني حب الدنيا ومنحت لي همسات ونغمات أسعدتني..إلى من سهرت الليالي لأجلي .. إلى من سقتني من نبع حنانها وعطفها وربتني أمي الغالية (الغالية)

إلى أمي الثانية التي أعتبرها قدوتي في الحياة وسندي..إلى من أنارت قلبي وحياتي وسعت من أجل إرضاء حاجاتي، وأطعمت قلبي بالإيمان والعلم والأخلاق(حدة) الحبيبة جزاها الله خيرا وإلى زوجها (عيسى)

إلى جدتي العزيزة (أم هاني) أطال الله في عمرها

إلى رفيق دربي ونور عيني وسندي في الحياة إلى نصفي الثاني وزوجي العزيز(سفيان)

إلى توأم روحي ومهجة قلبي أختي الحبيبة (رندة) وزوجها (فاتح)

إلى زهرة العائلة وشمسها أختي الصغرى (حكيمة)

إلى أخوالي العزيزان اللذان كانا سندي في الحياة (ساعد وفريد)

إلى جواهر قلبي (نور الإسلام، هاني الأمير، ريان، أسماء نور)

إلى نعمة الصديقة والأخت الحبيبة (أمال) وكل صديقاتي (ديدة، حجيلة، سعاد، أمينة وهند)

إلى زميلتي التي قاسمتني هذا العمل (فايزة وعائلتها)

إلى كل واحد ابتسم في وجهنا سائلا مصير المذكرة

سعاد

مقدمة:

الحمد كل الحمد لله الذي خلق الإنسان و علمه البيان، ووهبه الحكمة و العقل وكل ما فيه خيره وصلاحه وذلك دون غيره من بني المخلوقات ففي كل هذا دليل كبير على الاهتمام الخاص الذي حبى الله به بني البشر، فوجد الإنسان في هذا الكون المقعد من حوله الذي راح يتأمل فيه تارة ويتساءل عن إسراره تارة أخرى، فلم يجد من سبيل أمامه سوى البحث عن وسيلة لإشباع فقره العلمي، والمهم أن الإنسان بحث قديما ولازال يبحث طموحا منه للوصول إلى كنه الحقيقة

ولعل مجرد التفكير في القضية، وسبيل بحثها، يعد أمرا صعب المنال باعتبار أصعب الشيء بدايته. وعليه فقد رسخ في عزمنا انه لا مناص من موضوع نستجلي أفكار وتنقضي أبعاده، ونكشف عن نتائجه بعدة قوامها، الرغبة،الحرص،الصبر وبخاصة إذا تعلق الأمر بشخصية لها شأن كبير في العلم والأدب والفن أمثال العلامة العربي "الجاحظ" الذي نحسب التعامل مع إبداعه فكرا وأسلوبا مغامرة لا يضمن الطالب نتائجها . وبما أن العزم منعقد على السير قدما نحو البحث و الاجتهاد رافضين كل ما يواجهنا من صعوبات و عراقيل وعليه أثرنا التقرب من الجل في جانب ظل ملمحا يفرض ذاته في شخص "الجاحظ" الأدبي، فحرصنا برغبتنا أن تكون الدلالة الهزلية في كتابات الجاحظ غرضنا المستهدف مرامنا المقصود وذلك كله لأسباب تنوعت بين الذاتية والموضوعية، فالذاتية هي ميلنا للعصر العباسي بصفة عامة، وإعلامه بصفة خاصة الذين نكن لهم كل الاحترام و التقدير، أما الموضوعية فتمثلت في محاولتنا تسليط الضوء على خاصية من أهم خصائص شخصية الجاحظ ألا و هي صفة "الهزل" و التي طغت على معظم كتبه.

وقد اعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي والذي أملته علينا طبيعة البحث التي تطلبت منا الغوص في أعماق هذه الشخصية و تحليلها و هذا لا يعني أننا لم نواجه أية صعوبات كل هذا عن موضوع البحث و حيثياته، أما هيكل البحث فقد رسمنا خطة للدراسة وحددنا منهجا مناسبا لها، حيث قسمنا البحث إلى مقدمة و أربع فصول و خاتمة.

تناولنا في الفصل الأول : التعريف بالأديب و أهم الظروف التي أحاطت به، وتعرضنا في الفصل الثاني للتعريف بموضوع "الهزل" وأسباب ظهوره في تلك الفترة وعند أديبنا بالذات ثم تلاه الفصل الثالث الذي اهتم بلغة الجاحظ في كتاباته خاصة الهزلية منها، وختاما الفصل الرابع والذي كان بمثابة دراسة تطبيقية على إحدى أهم مؤلفات الجاحظ "البخلاء" وختام البحث خلاصة النتائج التي توصلنا إليها بوصفنا طلاب بحث.

مدخـــل:

مـبررات ظـهور الهــزل في الـعـصر الـــعبـاسي

لسنا بحاجة إلى آن نجيل القلم عن العصر العباسي ذلك انه عن غنى عن كل تعريف به

فيكفي القول فيه انه كان عصر ازدهار المعارف و العلوم حيث عاش في أذهاننا يوما و لا يزال

يعيش بقوة حضارته و اتساع رقعته الجغرافية التي ظللت العالم يوما بفعل الفتوحات الإسلامية كيف لا؟ و" البصرة و الكوفة من اكبر المدن العبـاسية و حـاضرتان من اكبر حواضر العالم

الإسلامي في الإنتاج الفكري و الحضاري كانتا ينبوعين غزيرين للفكر الإســلامي (القـران وعـلومه) وملتـقى أدب الـعرب من شعر و نـثـر روايـة و أخـبار كما كانتا محتضنتين تيـارات (أنطاكية الإسكندرية أثينا) ومهد البابليين والآشوريين بكل ما تجلت به حضارتهما الغنية الشاملة لشتى ألوان المعارف "[1] ومنه فقد ضمت الحضارة العباسية التي قيل إنها:"جمعت كل المتناقضات بنشرها لعناصر جمالها و مفاتنها

[1] - ينظر:د. حسين الحاج حسن:أعلام في النثر العباسي.المؤسسة الجامعيـة للدراسـات و النشـر و التوزيع, بيروت, ط1, 1993, ص 117

على العالم بأسره أجناسا مختلفة تراوحت بين العرب و الفرس و الأتراك فانعكس ذلك على الحياة العباسية بالسلب أحيانا والإيجاب أحيانا أخرى فحدث بذالك الامتزاج وانتشرت مجالس الطرب و دور الخمر و القيان التي كان العباسيون من اكبر مرتديها و بكل اختصار كان عصر الاستمتاع و اقتناص الملذات بشتى ألوانها و أنواعها من استقامة و استهتار نسك و فتك و علم و جهل إيمان والحاد خطا و صواب...."[2]

هذا فضلا عن الحركة العمرانية الواسعة التي طالت الدور الراقية و القصور المنيعة التي تأثر بها الإنسان حين نزل الحواضر طلبا للترف و العيش الرغيد.

وهكذا لم يبق الأدب في منأى عن تلك الموجة العارمة التي أصابت العقول و الأفكار بل انصهر و استجاب هو الآخر"و أصبح إكليلا توج هامات الخلق إلى هؤلاء الناس من الأحداث العظمى التي تحول لها مجرى التاريخ تحولا ملحوظا تحول على الأدب العربي باليمين و البركات و الطموح و التطلع..."[3]

فأدباء ذلك العصر عبروا و أبدعوا و ذاع صيتهم حتى وقتنا الحاضر بتصويرهم المتميز لحضارتهم التي أمرتهم بالمادة الخام من رقي و تطور و انفتاح على بقية الثقافات بالاطلاع عليها عن طريق حركة الترجمة التي علا شانها "ومن أهم ما قيل عن الجاحظ مثلا في هذا الباب انه أتقن علوما كثيرة و نبغ في المعرفة حتى اكتشف كل كنوزها و قرأ كتب فلاسفة اليونان و حكماء الهند و علماء الفرس و أدباء الرومان...حتى انه لم ينقل كتابا إلى اللغة العربية في أي علم وفي أي فن القراءة إلا و تمثله و استظهره..."[4]

وبما أن الجاحظ استطاع بقوة ذكائه و فطرته أن يفرض نفسه في ذلك الزخم الفكري الأدبي في مجتمع يسوده العلم و الازدهار فنقش إبداعه و أدبه بكلمات جميلة و عبارات أجمل صورت و عبرت و أبدعت و ربما حتى أضحكت في كثير من الأحيان و ذلك نظرا لما يضفي الجاحظ من مسحة هزلية على كتاباته فكانت طريقته تلك خاصة جدا عبرت و بكل قوة حتى وان لم تكن صريحة في معظمها و موجهة لشيء ما فقد أصابت الهدف فكان مغزاها كبيرا في أذهان و نفوس المتلقين على وجه الخصوص ولا سيما وان المجتمع العباسي كان ذا ثقافة كبيرة ساعدته على اكتسابها .

لقد عبر الجاحظ بعمق تفكيره وقوة قلمه عن كل ما كان يروج في عصره من تناحر و صراع و تناقص نتيجة تفاعله مع ظروفه البيئية و الشخصية فقد:"ساعده على تمرسه في الحياة واختلاطه الشديد بالناس على اختلاف درجاتهم و خلقه مشوهة جملها خفة ظل لا حدود لها في الجاحظ و كان عظيم الدعابة و العبارة فقد ضحك و اضحك و ذلك تابع عن نزعة فنية..."[5] كما نقلت أعماله التناقص السائد آنذاك كيف لا ؟ و قد نشا في إحدى أهم المدن العباسية علما و مالا ألا و هي البصرة التي جمعت بين الثراء الفاحش و الفقر الموحش فشخصيته كانت مزيجا مختلطا من ظروف بيئته صنعها المجتمع بكل ما يحمله من تناقضات وأخرى شخصية خاصة حيث كان شديد الاختلاط بالناس حتى قيل عنه "انه حين كان يحضر

---

[2] -المرجع نفسه,ص117

[3] - د محمد عبد الغني الشيخ :النشر الفني في العصر العباسي الأول اتجاهاته و تطوراته ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ج1 (د ط) 1983 ص95

[4]- د.حسين الحاج حسن:أعلام في النثر العباسي، ص95.

[5]- د.محمد بركات حمدي أبو علي:سخرية الجاحظ من بخلائه،نشر وتوزيع مكتبة الأقصى، عمان، الأردن ط2، ص ص 67 -68.

حلقات المسجدين من صغار الملاك و متوسطيهم وهم يتحاورون في أمور الاقتصاد فقد حفظ الجاحظ نوادرهم و غرابة أطوارهم وسجل بذاكرتهم الفذة صورهم و ملامحهم و حركاتهم و ألفاظهم الخاصة و كل مالهم و ما عليهم..."[6].

كل ما سبق ذكره دليل قاطع على قدرة الكاتب على التعايش و الفهم و من ثم النقد فقد صور مجتمعه بكل أخطائه مرة ساخطا و ساخرا أحيانا أخرى.

و السؤال الواجب طرحه هنا هو:ما سبب سخرية الجاحظ في معظم كتاباته ؟و ما الهدف منه؟هل كان يريد إصلاح ما أفسده المجتمع ؟أم هناك أسبابا أخرى لا تعرفها إلا نفس الجاحظ العميقة؟

ليس من المعقول أن يكون الهدف بسيطا فلا بد أن يكون قويا قوة الأديب و شاملا شمول ثقافته بعيد المدى فكتاب البخلاء في ظاهره عمل أدبي خالص لكنه في الحقيقة يحمل بين طياته وبين سطوره مغزى سياسي بحت كان هدفه الأول والأخير التعبير عما كان سائدا آنذاك لا غير فكل هذا كان نتيجة قدرته الفائقة على التذوق و التمييز مما هيا له الارتقاء بهاته النزعة الإنسانية إلى مستوى فني رفيع ترى ما أسباب ذلك؟

أيعود إلى عداوة بينها الكاتب في نفسه لشخص ما أو لمجتمعه على سبيل المثال أم ذلك كله سببه التفريغ فإذا اعتبرناه تفريغا كان ذلك نتيجة تعامله مع فنون القول التي اكسبه جرأة كبيرة في نقل واقع عصره بكل أمانة ودون زيف يذكر فعندما نقوم بتقصي آثاره الفكاهية نلمس فيها معنى التفريغ فنراه لا يترك موضوعا تناوله إلا و كساه برد الهزل فمثلا رسالة"الجد و الهزل" التي تصور لنا جانبا من حياة الجاحظ فقد كتبها لصاحبه ابن الزيات يستعطفه فيها و يشكو إليه الجفوة التي حدثت بينهما إذن نلمس فيها دلالة صريحة عن الحالة النفسية التي آل إليها الجاحظ في تلك الفترة فطغى عليها اليأس و التأسف اللذان أحاطهما بروحه الساخرة.

ولم يقف عند هذا الحد بل استهدف حتى نفسه، فجعل منها موضوعا للكتابة إذ يقول:"ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ابنه فلما راني استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم و صرفني "[7].

إذا فهو كان يفرغ هذه الملكة في أعماله بل و تجسدت حتى في حركاته و انفعالاته اليومية فالهزل كان نزعة فطرية طبعت نفسية الجاحظ، وتشبعت بها روحه المرحة أما إذا اعتبرناه عداوة فأسباب الهزل والسخرية هنا نابعة عن سلبية شعور تحمله نفس الكاتب الساخرة ضد مجتمعه تمثلت في الحقد؛ و العداء و حتى الرغبة في الانتقام نظرا لما يشعر به هذا الساخر من نقص فيزيولوجي خاصة و انه كان دميم الخلقة قبيح النظر فلعل هذا التعامل كان دافعا لان ينمي لديه فكرة العداء و من ثم السخرية .

أما إذا توغلنا في دراسة نفسيته و حللناها وفق الظروف الحياتية التي ترعرع فيها و الخلقة التي فطر عليها وجدناها سببا في جلب السخرية و تهكم العامة و الخاصة من أهل عصره إذ يروي انه دخل عليه غلامه فرآه يتجهد في الدعابة فقال ما بك يا مولاي؟قال :صرت هزءا للناس فانا أدعو الله أن يصلح ما بي من عيوب...[8]

---

[6]- د.حسين الحاج حسن:أعلام في النثر العباسي،ص119 .

[7]- ينظر:عبد السلام هارون:رسالة الجد والهزل الجاحظ، مجموع رسائل الجاحظ، مكتبة الخافجي، (د.ط) (د.ت)،ص37 .

[8]- د.محمد بركات حمدي أبو علي:سخرية الجاحظ من بخلائه، ص 104.

إن هذه الرواية تكشف عن الاستعداد الدفين ذي تأثير الخطير في البناء النفسي عند الجاحظ ففي الدعاء دليل على شدة المضايقة التي يتعرض لها من قبل الناس وهذه المضايقة التي بعثت فيه عقدة نفسية تمخض عنها إحساس بالعداوة تلك العقدة التي كانت تكسوها الرغبة في الهزل و التهكم على المجتمع الذي كان له تأثير قوي على تكوينه النفسي و هذه عندها تفسير عكسي معه قوة التحدي و الشخصية للجاحظ.

إذن فالفقر الشديد و الخلق الذميم جعلا إحساسه بالكراهية يتفاقم و يسيطر عليه شيئا فشيئا فمن اجل التخلص من هذا الإحساس البغيض راح يرقى بنفسه نحو مراق الكمال و الرضى لعله يخفي شيئا من قصوره فإحساسه بالحرمان و النقد و التجريح انشأ فيه نوعان:التمرد على المجتمع فحاول أن ينتقم لنفسه و يقتص لها على طريقته الخاصة فلم يجد وسيلة أجمل و لا أرقى من قلمه الساخر و عقابا اردع من الهزل.فتجسد الشعور بالعداوة في بعض كتاباته الفكاهية التي كانت في صميمها هجاء و نقدا قبل أن تكون لهدف الترفيه و التسلية حتى قيل أن :"البغض و الانتقام هما الشيطانان اللذان يولدان السخرية "[9]

فقد كان يستهدف خصومه بتخيير العبارات و المعاني القائلة فيحول الهزل إلى الهجاء قاصدا من ورائه النفسي و الانتقام.ففي هذا الجو المشحون بالصراعات النفسية تولدت نزعة العداوة عند الجاحظ حتى و إن كان هذا الإحساس مؤقتا ينتهي بإشباع غريزة النفس بأسلوبه الساخر الذي كان بمثابة رد فعل ضد تلك الصراعات التي كانت تجول في خاطره ضد البيئة الاجتماعية التي أورثه القساوة واللامبالاة فمن خلال استنطاق الكتابات الفكاهية للجاحظ

إن الهزل كان مصدره العداوة و التفريغ إلا انه كان في معظمه تفريغا يصبو من خلاله إلى تصحيح بعض العيوب الاجتماعية و النفسية لفئات مختلفة من المجتمع كما لا تغيب عليه كتاباته الهازلة التي كان مصدرها شعوره السلبي بالعداوة لأنه يبقى أولا وأخيرا إنسانا يتمتع بكل الأحاسيس و الصفات الإنسانية من حب و كراهية وود.

إذا فمن هو هذا الأديب و كيف نشا؟

---

[9]- د. نعمان محمد أمين طه :نقلا عن أدب الجاحظ للسندوبي،السخرية في الأدب العربي،دار التوفيقية بالأزهر ط1،(د.ت)،ص104

الفصل الأول

ترجمه ذاتيه للاديب

مــولده

نشــأته

حياته الاجتماعية

حياته الفكرية

آثــاره

وفاتـه

مـولده:

يعد الجاحظ من أهم كتاب العصر العباسي من غير منازع، فهو الرائد حين ذاك بلا شك فقد شهر بعصره وأعطاه وقعا في التاريخ ، فمن هو الجاحظ يا ترى؟

"هو عمرو بن بحر بن محبوب بن قزارة، من بني كنانة بن خزيمة، لقب بالجاحظ لنتوء حدقته ، ودعي الحدقي كنيته أبو عثمان. كان قصيرا ذميما، اسود اللون، ولد بالبصرة في أوائل سنة 150هـ ـ 767م"[10].

قيل "الجاحظ بصري،المولد بصري،المنشأ بصري، الوفاة بصري غير أن البعض يرى انه من قبيلة كنانة،وذلك الانتماء لقمص عمرو بن قلع الكناني "[11]

ويقول احمد الطويل:"وقد كان جده زنجيا اسود من أسرة متواضعة من أحفاد الرقيق لكثرتهم بين يدي كنانة في تجارتهم الواسعة عبر البحر الأحمر مع البلدان الأخرى.وإلى هذا الأصل قد يعود الأصل في دمامة وقبح وجهه"[12]

ولكن سنة ولادة الجاحظ كانت مجل اختلاف المؤرخين فمنهم من زعم انه ولد سنة 159 هـ ومنهم من يرى غير ذلك وظل الأمر هكذا بلا اتفاق، وأما الأمر الذي لا ريب فيه ونراه الأصوب أن هناك مصادر عديدة أكدت على أن الجاحظ صرح بأنه "أسن من أبي نواس بسنة فالجاحظ ولد سنة 150هـ وولد نواس في أواخرها "[13]

فالجاحظ ولد في المدينتين العظيمتين، البصرة والكوفة اللتين تزخران بعلوم الحياة المختلفة، ويزخران بالعمران وصنوف العلوم وتنوعها وجليات الأدب المتنوعة.وفي خضم ذلك يمكن القول:انه لم يتضح الراى بعد أن كان الجاحظ من أسرة عربية عريقة كم قيل، أم من عناصر افريقية مشتتة هنا وهناك .

وما يمكن التأكد منه وما اتضح فعلا رؤيته هو إن الجاحظ ذلك الأديب الذي أعطى الأدب حقه وخدمه خدمة بلا ثمن.

نشأته:

لم يتمتع الجاحظ بحنان الأم مثلما يتمتع به أي شخص،فقد عاش محروما من أجمل لفظة يرددها الناس،ومن احن كلمة ألا وهي أمي،هاته الكلمة التي حرم منها الجاحظ وهو في سن الزهور.

---

[10] ـ د.حسين الحاج حسن: أعلام في النثر العباسي ،ص87.

[11] ـ د.احمد شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر (د.ط)،(د.ت)، ص ص154،155 .

[12] ـ احمد الطويل: الجاحظ أبوعثمان، الشركة التونسية للتوزيع،ط1، 1983م ،ص 07

[13] ـ عمر الدقاق: ملامح النثر العباسي، دار الشروق العربي،بيروت، (د.ط)، (د.ت),ص 145 .

"فنشا الجاحظ يتيما وحيدا، ترعرع في أسرة بسيطة ومتواضعة، وقد عان وحيد الفقر وما كان عليه آنذاك سوى بيع الخبز والسمك بـــ:"سيحان" وهي احد انهار بلدته، وعاش الجاحظ في أول حياته بهذا "[14].

أما البيئة التي نشا فيها، كانت بيئة ارستقراطية حوت من ألوان البذخ والنعيم والخفض والدعة كثرت فيها مجالس اللهو والطرب والغناء .وكانت ظروفا جد قاسية عاشها الجاحظ ممتزجة بالفقر والحرمان،بالإضافة إلى تلك البيئة المسخوطة، التي أهملت من طرف الخلفاء فأصبحت بيئة مشحونة باللهو والمجون.

أن المتتبع للفترة التي عاش فيها الجاحظ، يتضح له تماما أنها فترة راجت وكثرت فيها الخرافات والأساطير،لدرجت لفت الأنظار وشغلت تفكير الناس واستعدادهم، وما لهذه الأساطير من صولة وقت ذاك تخطت أسوار المسجد تلوكها [15] الألسنة، ولا سيما السنة القصاص والسمار ومن يقرا ويتصفح كتاب الحيوان للجاحظ فسوف يطالع الحملة التي وجهها المؤلف إلى ما شاع من خرافات ، وقام بالتنديد بها والزراية عليها في غير موضع من الكتاب .

"كما انه لم تكن مجالس اللهو والمجانة هي المتفشية آنذاك فقط، بل كان تيار الزندقة قويا، يجرف من أمامه طرائق الشعب وفتاته، وبخاصة من اشتغلوا بالأدب منهم وشعرهم حافل بهذه النزعة التي ظهرت جلية فيه، وهذا نمط للهجاء بشار بن برد لحماد عجرد:

ابـن نهي راسي عليا ثقيـل واحتمال الرؤوس خطب جليل

أدع غيري إلى عبادة إلا ثـن يـن فإنـي بواحـد مشـغول "[16]

كانت هذه لمحة خاطفة عن نشأة الجاحظ، من خلال البيت وكذا البيئة، فالجاحظ عاش ظروفا قاسية ضف إلى ذلك البيئة المتوترة. فحياة الجاحظ مزيج بين العمل والعلم وهوبقدرته استطاع إن يقسمها بين الاثنين؛لان أسرته كانت رقيقة الحال، لم توفر له أسباب العيش الرغيد في صغره مما أضطره إلى الاعتماد على النفس.

رغم هذه الحياة المجحفة التي عاشها لم يمنعه ذلك من طلب العلم، بل كان محفزا وعاملا مؤثرا يحرصه على فعل ذلك فأول بداياته في طلب العلم كانت بالكتاب مع أولاد القصابين وهم من أولاد بلدته،ومن اجل أن يتخلص الجاحظ من تلك الحياة الفقيرة، راح يكد ويجد وينفق أوقاته في طلب العلم لان هذه الرغبة الجامحة في تحصيل العلم، ومعرفة دروبه الوطأة بلغت أقصى مداها، فالجاحظ لم يبق خامدا في مكانه،"بل كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر، وما كانت البصرة وحدها لتكفي في تحقيق هذه الرغبة، بل انطلق إلى بغداد عاصمة العالم الإسلامي في العهد العباسي وعين العراق، يوم كان العراق عين العالم، وأفاد الجاحظ من وجوده في بغداد"[17]

---

[14] - د. فتحي محمد عوض أبو عيسي:الفكاهة في الأدب العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (د.ط)، 1990م، ص218.

[15] - تلوكها: أي تهضمها، ترددها

[16] - المرجع نفسه ،ص 246 .

[17] - د. جميل جبرا:الجاحظ في حياته وفكره عن معجم الأدباء، ج 16، (د.ط)، (د.ت)، ص 75.

كل هذه العوامل امتزجت مع بعضها البعض لتشكل بيئة عابثة ومتمردة، فللبيئة دور كبير في تكون الفرد وتحديد معالم شخصيته، ولذا كان لابد من انعكاس البيئة في أدب الجاحظ، فقد كانت تشده بها صلة شديدة طبع بها وترجمت في كتاباته[18]

الحياة الاجتماعية:

شب الجاحظ في ظروف اجتماعية قاسية مؤلمة أولها حرمانه من أم وثانيها حياة يملؤها الفقر والمعاناة.وهذه الظروف جعلت منه شخصا كئيبا مملوءا بالفيض؛ وعليه فما كان على الجاحظ سوى الالتحاق بالكتاب ليتلقى تعليمه الأول مع أولاد القصابين.فهذه البيئة هي التي ترعرع فيها. يا ترى إلام نحا اتجاهه العقلي الباكر في نشأته؟وما العوامل التي أثرت في تكوينه الأول وطبعت صباه؟[19].

إن الكلام عن الجاحظ مضطرب تختلف رواياته وتتعدد؛فأبواه لانكاد نعرف من أمرهما شيئا اللهم إلا القليل عنها مؤداها أن أباه توفي وهو حديث وأن أمه هي التي كفلته بعد ذلك وقد يكون في بيعه للخبز والسمك ما يستفاد منه أن أمه كانت فقيرة ، فهي من الصنعة الاجتماعية أوضالة المنبت بمكان وإلا ما شمر ساعد الكفاح وامتهن البيع... ولم يكن فقره حائلا أمام ذهابه للكتاب، فقد كانت حينذاك موئلا[20] لأولاد الطبقة الدنيا، وهنا نجد الجاحظ يقص علينا قصة وقعت لزميله من أولاد القصابين يقول فيها:"وان حفظك الله ـ رأيت كلبا مرة في الحي فعرض لي صاحبي يسمى"مهديا" من أولاد القصابين قائم لمحو لوحة فعض وجهه، ففقع ثنيته دون موضع الجفن من عينه اليسرى فخرق اللحم الذي دون العظم إلى شطر خده فرمى به ملقيا علي وجهه، وجانب شدقه وترك مقلته صحيحة، وخرج منه الدم ما ظننت انه يعيش معه وبقي الغلام مبهورا قائما لا ينبس وأسكته، الفزع وبقي طائر القلب ثم خيط ذلك الموضع، ورايته بعد ذلك بشهر وقد عاد إلى الكتاب وليس في وجهه من الشتر[21] إلا موضع الخيط الذي خيط فكم ينبح إلي أن برئ، ولا هر ولا دعا بماء حتى إذا صاح ردوه ولا بال جروا ولا علقا ولا أصابه مما يقولون قليل ولا كثير ولم أجد احد من تلك المشايخ يشك لم ير كلبا قط أكلب ولا افسد طبعا منه فهذا الذي عانيت"[22].

نجد في هذه القصة ظاهرة متفردة من نوعها وهي دقة التصوير،وكأنها كتبت لساعتها لو أتيح أن تكتب في حينها لما كانت بهذه الإحكام الذي لم يترك شيئا إلا رسمه، فمن أين واتته تلك الموهبة وهو صغير؟

وبما أن الجاحظ كان قصير القامة مع جحوظ في العينين وليس لهذا من اثر إلا أن يكون مفرط الذكاء مرهف الحس مفتوح المشاعر،وما ذلك بدعا في حق الجاحظ وبخاصة حين يكون الاستعداد كامنا فيه،لا يعوزه إلا محرك يوجهه وقد كان هذا المحرك فيما روى الجاحظ نفسه في سابق حديثه عن المعلمين:

---

[18] ـ المرجع نفسه، ص 75.
[19] ـ ينظر: د. محمد فتحي عوض أبو عيسى: الفكاهة في الأدب العربي، ص 208.
[20] ـ موئلا: ملجأ.
[21] ـ الشتر: علامة خصوصية.
[22] ـ د.فتحي عوض أبوعيسى: الفكاهة في الأدب العربي،ص ص 209-210 .

"وما كان عندنا في البصرة رجلان أدرى بصنوف العلم، ولا أحسن بيانا من أبي الوزير، وأبي عدنان معلمين، وحالهما من أول ما ذكر من أيام الصبا"[23].

أوليس الجاحظ في هذه الفقرات مدينا وممتنا لهذين الرجلين بالولاء والوفاء؟ ويعترف لهما بالفضل أي فضل! لكن ذلك وحده ليس كافيا في صوغ عقليته وبما أن للطاقة والاستعداد الدفين ـ نتيجة لشكله المنظر ـ أثره الخطير في طبع عقله على تلك الصورة.

فقد حكى الجاحظ عن نفسه قائلا:"ما أخجلني قط إلا امرأة أخذت بيدي إلى نجار، وقالت مثل هذا ومضت، فعجبت وسالت النجار عن قولها فقال:أتت إلي قالت: أن اصنع لها صورة تخوف بها أولادها، واتت بك مثالا "[24].

اكسبه هذا الشعور بالنقص ـ حتما ـ أن يتطلع إلى مراقي ومراتب ومستويات الكمال ، وكان له ما أراد ولعل مما هيا له ذلك الجو العلمي بالبصرة هو مسجدها، الذي كان له دور كبير، في حياة الجاحظ العلمية، حيث كان يجتمع في جل أرباب النحوو اللغة والأدب، الذين عرفوا المسجدين واغتنم الفرصة التي مكنته الظروف كلها، ذلك أن تطلعه إلى مجالس العلماء والأدباء حينئذ كان شان الخاصة وحدهم.

ويحدث الجاحظ في ذلك فيذكر في البيان والتبيين:"أن رجلا من علية القوم مر بفتى من ولد عتاب بن أسيد، وهويقرا كتاب سيبويه فقال: أف لكم علم المؤدبين وهمة المحتاجين"[25] .

تلك هي البيئة الاجتماعية التي عاش فيها الجاحظ، وتفاعل معها ونما وترعرع فيها، فهي المعهد الذي نشا فيه فقد رسم بشيء من الإيجاز خطوطها بما يساعد؛ أوحتى يتيسر إلقاء الضوء على مثل تلك البيئة؛ التي تربى في أحضانها أديب عظيم باعتبارها عاملا من العوامل التي أثرت في الجاحظ وأدبه دعبا وضحكا وسخرية ومرحا .

فقد ملك الجاحظ أسلوبا خاصا ومميزا ينفرد به وهذا راجع للبيئة الاجتماعية التي كان لها بالغ الأثر حيث أسهمت بنصيب لا باس به، فكانت له مادة يستمد منها موضوعاته.

الحياة الفكرية:

للتحدث عن البيئة الفكرية للجاحظ يجب تحديد السمات البارزة والخطوط العريضة للبيئة الفكرية وقد نكون مضطرين إلى القصد والاعتلال، لان دراسة البيئة الفكرية لا تعنينا إلا بالقدر الذي نعرف منه مكان الجاحظ من هذه البيئة وموقعه منها؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة لا بد من الحديث أولا عن ملامح هاته البيئة الفكرية.

"فالبيئة الفكرية التي عاصرها الجاحظ تحفل بألوان العلوم وشتى المعارف ، وما يميزها أنها التقت فيها حضارات قديمة وثقافات جديدة رفدتها جداول تلك الأمم التي فتحها العرب وامتزجوا بها ...فإلى جانب الثقافة العربية الخالصة التي كان أساسها القرآن الكريم،وما يدور حوله من دراسات كانت هناك الثقافة

---

[23] - جميل جبرا:الجاحظ في حياته وفكره، ص 75.
[24] - المرجع نفسه ص 210 .
[25] - المرجع السابق، ص ص 210 - 211.

اليونانية والثقافة الشرقية التي تتمثل فيما وجد عن الهنود، الفرس والأمم السامية التي كانت منتشرة في العراق"[26]

وكما أن مسجد البصرة كان محرابا لأمة الفكر يعقدون فيه مجالسهم العلمية فهذا لا يعني أن الثقافة هي تلك البيئة كانت مختصرة عليه فكما انعقدت فيه حلقات العلم والدرس، فكانت في مشاركته مساجد أخرى...

حيث نرى أن عدد من كان في البصرة من المحدثين والفقهاء واللغويين والنحويين والأدباء، كان يبلغ في عهده نحو ثلاثة آلاف ومن المعروف أن جامع البصرة يضيق بهذا العدد الجم من العلماء هذا إلى ما عهد في الخلفاء من حب للعلم، وتشجيع عليه وإغداق على ذويه وما مدارس "جند يسابور والرها ونضبين وحران"هاته المدارس التي كانت منارات للعلم لم تكن إلا مظهر من مظاهر العناية بالثقافة والفكر فضلا عن الأندية الكثيرة، التي قامت على أمر الأدب وانتشرت هنا وهناك فمن الحق أن نشيد بدورها الكبير الفعال،الذي قامت به في تقوية النشاط العلمي والعقلي، وتوجيه الذوق الأدبي ولا باس أن نذكر أن "دار بشار بن برد"لقيت من الحياة الفكرية ومظاهر اللهو والغناء وما يحدث به نفسه، حين قال لأصحابه:"لا تصيروا مجلسنا هذا شعرا كله، ولا غناء كله ، فان العيش تناهت"[27].

فدكاكين الوراقين لا يفوتنا أن نشيد بها، فقد نهضت بأعظم الأدوار في البصرة، في تكوين العقليات وتلوينها بخاصة عند الجاحظ الذي يشير هو الآخر إليهم فيقول:"وقد تجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القران ويجالس الفقهاء خمسين عاما وهولا يعد فقيها ولا يجعل فقيها ولا يجعل قاضيا فما هو إلا أن ينظر في كتب أبي حنيفة ويختط كتب الشروط في مقدار سنة أو سنتين حتى تمر ببابه فتضن انه بغض العمل وبالأحرى لا يمر عليه يوم من الأيام إلا اليسير حتى يصير حاكما على مصر من الأمصار أو بلد من البلدان "[28]

فالجاحظ أحب الكتب وتعلق بها اشد التعلق لدرجة انه قيل عنه:"إن الجاحظ يشد الكتب بالنواجد "فهذا دليل على انه محب الكتب وشغوف بها .

وقد حدث عن ذلك الحب والشغف بالكتب أبو هفان فقال :"لم أر قط ولا سمعت من أحب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ ، فانه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان ، حتى انه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر"[29]

إن البيئة الفكرية التي عاشها الجاحظ بيئة ولا أعظم ، فإنها جميلة ويزيدها الجاحظ جمالا ، فهي بيئة ريانة مزهرة تفتح العقل العبي فيها .

بالإضافة إلى الدور الذي أدته المعتزلة حيث اتصل الجاحظ بابي إسحاق النظام احد أعلام المعتزلة واخذ عنه علم الكلام وفن المجادلة وطريقة الاحتجاج وتقديم الأدلة المختلفة كما نسبت إليه فرقة كلامية تعرف بالجاحظية

---

[26] - د.فتحي محمد عوض أبوعيسى: الفكاهة في الأدب العربي، ص ص 213، 216 .
[27] - د. فتحي محمد عوض أبو عيسى: الفكاهة في الأدب العربي، ص 222.
[28] - المرجع نفسه ، ص 213
[29] - المرجع نفسه ، ص 213

كل هذا اكسبه مكانة هامة عند العلماء، فقال ثابت بن قرة فيه:

عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم[30]

مثل تأثره بنظرية المحاكاة اليونانية التي التقت فيها أفكار الجاحظ بالآراء اليونانية ولكن مثل هذا الأمر يجب أن لا يؤخذ أو يحمل عليه بالسلب فهو قد يكون أمرا طبيعيا لازم للكتاب كهذا الكتاب "البيان والتبيين"ومؤلف كالجاحظ واسع الاطلاع ووثيق الصلة بالحركات العلمية المختلفة وهذا الكتاب بصفة عامة [31]

لم يصبغ بصبغة خاصة، فهولا يزال عربي الموضوع، أو المادة والصيغة وأما كتاب البخلاء فهو كتاب فيه سياسة ـيعني الوجه البعيد للكاتب، عربي ولكنه لم يحسن الدفاع عن عروبته فقد كان يتلون ويميل مع كل ريح إلى أن لم يستطع على الرغم من كل هذا أن يخفي حنينه إلى أرومته، وحبه للعرب وتراثهم فانتشرت آراؤه خلف ملتقطاته وبين السطور وفي بعض ملحوظاته القصيرة.

وكثيرا ما كان أبو عثمان يضرب فئة، وكثيرا ما كان يجمع كتاباته ما بين الأعاجم والعرب عندما يرى أن السياسة تتطلب منه ذلك فكان الجاحظ جزءا من سياسة الدولة خصوصا أيام المعتزلة وحزب الخليفة والضاربين بسيفه والذي يقرا مؤلفاته يرى التناقص الذي وقع فيه نتيجة لتبدل أوجه السياسة ورجال الحكم وقواد الجيش، يعرف انه لا يصلح للوقوف في تيار السياسة إلا كل عربي حسن العقيدة كما قال الأصمعي[32].

آثاره ووفاته:

ترك الجاحظ في خزائن الأدب العربي مجموعة من المؤلفات البارزة التي تنوعت بين العلم والفلسفة والأدب. وتناولت بالبحث علوم الدين والطبيعة والعلوم والمخلوقات حية كانت أو جامدة وكتب في العادات والطبائع والأجناس فكان لنا حشد كبير من الكتب بلغت فيما يروي "بسيط الجوزي" في كتابه مرآة الزمان 360 كتاب وهو بذلك أوفر المؤلفين وكتبه من ارفع الكتب سمو واسماها علما، وهي ليست مجرد تصنيف بل أكثرها إبداعا وخلقا غير أن هذه المؤلفات لم تصلنا كلها ،وأسباب صياغتها هي تلك التي عفت على معظم ما تركته عبقرية العرب من كتابات في حقل العلم والمعرفة والأدب والفن فقد عبثت الحروب وظروف الدهر بالمكتبات كما عبثت بها أيدي الجهل والانحطاط فلم يحافظ الأبناء على التراث الفكري الذي خلقهم لهم آباؤهم وجاء هو لاكو وجيوش المغول والتتار فاحرقوا المكتبات وعثوا في الأرض فسادا[33]

لذا لم يبق من تراث الأجداد سوى بعضها ونشر قسم منه لا يزال معظمه متوزعا في بطون المكتبات العامة والخاصة في الشرق والغرب لذلك ظلت بعض مؤلفات الجاحظ غير معروفة بالإضافة إلى الأدباء الذين نسجوا على منواله لتروج كتبهم فكان اضطراب القوم في صحة مؤلفات الرجال ومن أهم مؤلفاته:

---

[30] ـ د. احمد الطويل أبو عثمان الجاحظ: دراسة منتخبات، الشركة التونسية للتوزيع، 1983، (د.ظ)،ص7-8

[31] ـ د. طه الحاجري : الجاحظ حياته وآثاره ، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر ،ط2 ، 1963، ص ص 432 ـ 436 .

[32] ـ محمد علي الخطيب:الصراع الأدبي مع الشعوبية، الجاحظ الشاعر القروي، دار الحداثة للطباع والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)،ص ص 77- 81.

[33] ـ د.حسين الحاج حسن:أعلام في النثر العباسي ، ص 46

البيان والتبيين ، الحيوان، كتاب المعادن، والأوقاف، والحرف والأصنام ،والديانات والعبادات والقحطانية العدنانية، ورسائل التربيع والتدوير، وخلق القرآن، الشعوبية، حجج الأنبياء .....،وغيرها من المؤلفات أما في أكثرها أهمية تجلت في البيان والتبيين والحيوان والبخلاء[34].

1 - الحيوان:

ألف الجاحظ هذا الكتاب قبل كتاب البيان والتبيين وأهداه لمحمد بن عبد الملك الزيات، وزير المتوكل، وهو عبارة عن تأمل في مخلوقات الله من حيوان ففيه تتجسد حكمة ومقدرة ورفعة شان الله تعالى وفيه أيضا من القصص والعلوم ، وما ألف من العادات والأمراض والحكم والأشعار فكان يأخذ عمله من أصحاب الخبرة، فهو إذا أراد مثلا أن يتحدث عن الطيور سال صائدهم وناقشه، وكذلك الأمر بالنسبة للحيوانات الأخرى وهذا الكتاب زاد من المعرفة ومعين وينبوع من اللغة ونهر من الأدب وفيض من الظروف وهو ممتع في القراءة،سخي في العطاء الذهني، والتنشيط الفكري وكتاب الحيوان مليء بأسباب الجدال الذي عرف به المعتزلة وجدال من نوع طريف[35].

2 - البيان والتبيين:

ألف الجاحظ هذا الكتاب في أواخر حياته، وأهداه إلى الوزير الكاتب القاضي احمد بن أبي دؤاد، فوصله بخمسمائة ألف دينار، وهو كتاب يحتوي على نصوص نثرية وشعرية جمعها الجاحظ لتكشف عن كيفية تصور العرب، ز الجاحظ لعدة مسائل، وإنما يتميز بخاصيتين اثنتين:

- تراكم الأقوال والأخبار والأشعار
- استطراد من معنى إلى آخر ومن مسالة إلى أخرى [36]

ومن الموضوعات الجد في الكتاب فتتلخص في الأغراض التالية:

أ - الخطابة:

وقد أورد الجاحظ أخبار الخطباء في الجاهلية والإسلام، كما بين صفات الخطيب الناجح وذكر مكانة الخطيب بين قومه، حين قدموه في كثير من الأحيان على الشاعر، كما ذكر الخطباء الشعراء، وأخبارهم وزودنا بعد ذلك بعدد وافر من الخطب المشهورة، لمشاهير الخطباء كالحجاج، وزياد واكثم بن صيفي، وعامر بن الظرب، وقس بن ساعدة، وزيد بن علي، كما قدم نماذج لأغراض الخطابة المتعددة، ويذكر أيضا النساء الخطيبات الفصيحات مثل أم المؤمنين عائشة، وصفية بنت عبد المطلب وغيرهن، وللخطابة والخطباء، ولنماذج الخطب أمكنة رحيبة في البيان والتبيين.

ب - البلاغة والبيان:

ولعل هذا الغرض جاء على صفحات عديدة من الكتاب مجمعا تارة ومفرقا تارة أخرى ومن أهم الأغراض فلقد تحدث الجاحظ عن اللحن واللحانين ومخارج الحروف، كما تحدث عن اللثغة وضرب لذلك مثلا بواصل بن عطاء الذي كان خطيبا مفوها [37] ولكنه كان يتفادى الألفاظ التي فيها حرف الراء، حتى لا

---

[34]- د. حسين الحاج حسن: أعلام في النثر العباسي، ص 46.
[35] - د.مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، (د.ط)، (د.ت)، ص ص 172 173 .
[36] - المرجع نفسه ، ص ص 172 - 173 .
[37] - د. مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص ص، 172 - 173 .

يؤذي أذان السامعين بقبح نطقها،كما تحدث عن البلاغة في الإيجاز وعن البلاغة في الإطناب، وضرب ذلك أمثلة كثيرة هذا فضلا عن نماذج كثيرة جدا لضروب من الأقوال البليغة.

ج – الشعـر:

لقد وشى الجاحظ كتابه هذا بمنتخبات من الأشعار اختارتها قريحة أديب لماح، وكان يقف عند كثير من المقطوعات التي يجيء بها وقفة الصبر في الناقد البارع يبين وجوه محاسنها أن كانت حسنة، ووجوه قبحها إن كانت معينة ، ولم يكن يترك شاعرا منذ الجاهلية إلى عصره إلا وقد اختار شيئا من شعره في مناسبة بعينها، فقدم بعضها من أبياته في مجال الاستشهاد والحق أن ما قد حواه البيان والتبيين من ثروة شعرية يعد شيئا نادر المثال مثل تلك المجموعات التي اختارها أبو تمام أو البحتري أو غيرهما، وأطلقوا عليها اسم كتب الحماسة.

د- الرسائل والوصايا والمحاورات:

وكل هذه موفرة كثيرة في حنايا الكتاب، بعضها رسائل رسمية متعلقة بشؤون الدولة، وهي ما اصطلح على تسميتها بالرسائل الديوانية وبعضها الآخر رسائل اجتماعية جرت بين أصدقاء، وهي التي يطلق عليها الرسائل الاخوانية، ولما كان الجاحظ سيدا من سادة الأسلوب في الكتابة العربية، فانه يحسن ما يختاره من رسائل في مقام الغرض الذي اختارها لأجله، ولهذا أكثر الجاحظ من ذكر الوصايا وخاصة وصايا الخلفاء، ويهتم الجاحظ بالمحاورات والطرائف منها بشكل خاص، وما كان يبعث على الافتخار كتلك المحاورات التي كانت تجرى بين عبد الملك ورجاله، أوبين الحجاج والعامة،وبينه وبين أعدائه والخارجين عليه، وهي محاورات خلقية بان تقرا لأنها تربي النفس، وتنهض بالأخلاق وتعلم قوة الحجة ونصاعة البرهان[38]

هـ - النساك والقصاص :

وكان هؤلاء على أيام الجاحظ وقبله بقليل من الخطر والأهمية بمكان أو كانوا صفوة بين العلماء ومعلمين، وقد تكاثروا في البصرة بلد الجاحظ بشكل خاص، ومن منا يستطيع أن يغفل شان حسن البصري ناسكا، ومن ذا الذي يجرؤ على إنكار خطره عالما وخطيبا، لقد أتى الجاحظ في أكثر من فصل ومن فصول كتابه بأسماء العشرات من أمثال مالك بن دينار، وأبي حازم الأعرج، ويزيد الرقاشي ولم يغفل النساء الزاهدات مثل رابعة العدوية القيسية ومعاذة العدوية وأم الدرداء.

وأما الجانب الساخر من فصول البيان والتبيين، فهو الحكمة التي تصدر عمن لا يتوقع المرء أن تصدره منه، والجاحظ يجيد الكتابة الفكهة فهو فكه بطبيعته مرح في غير تكلف، ومن ثم فقد خص الحمقى بدراسة وافية، بل انه يحمل عليهم في سخرية وينسب إلى بعض الحكماء قوله:"لا تستشيروا معلما،ولا راعي غنم ، ولا كثير القعود مع النساء، كما انه يذكر من أمثال العامة قولهم : أحمق من معلم كتاب، غير

---

[38]- المرجع نفسه ، ص 173 .

انه لا يلبث في موضع آخر أن يستبعد الحماقة عن عظماء المعلمين، الذين عملوا أولاد الملوك المرشحين للخلافة مثل"علي بن حمزة الكسائي"أو محمد بن المستنير الذي يقال له قطرب [39] .

وعقب الجاحظ على كثير من صفحات الكتاب من الأقوال بآراء، ومواقف تدل على ثقافته وعمق تفكيره، وتبدو في كثير من صفحات الكتاب النزعة الفلسفية الجدلية التي اشتهر بها الجاحظ، إذ يروي أفكار عدد من المعتزلة وأقوالهم، ويضبط كثيرا من مفاهيم. وللجاحظ رأي طريف في لغة الكتابة وأسلوب الأديب يقول :"ومتى سمعت بنادرة من كلام الإعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها، ومخارج ألفاظها، فانك أن غيرتها بان تلحن في إعرابها ، وأخرجتها مخارج كلام والمولدين والبلديين، خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبيرا، وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر الحشوة والطعام فإياك أن تستعمل فيها الإعراب، أو تتخير لها لفظا حسنا، أو أن تجعل لها فيك مخرجا سريا فان ذالك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي اريدت له، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيد والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم ،وأقبح من ذلك لحن الاعاريب النازلين على طرق السابلة، ويقرب مجاميع الأسواق[40].

وفي الكتاب ـ أيضا ـ أحاديث عن الفرق الدينية، والاتجاهات السياسية، والأحزاب المختلفة وعن الحياة الاجتماعية بشتى صورها وعما قيل في ذلك من جيد النثر والشعر، "والجاحظ كعادته كثيرا ما يترك موضوعه قبل أن يستمده ليعود إليه بعد استطرادات، قد تطول أو تقصر فهو ينقاد مع تيار أفكاره الجارفة وتعابيره المتراكمة مخضعا بيانه"[41].

و- المناسبات الطارئة:

أما الناس الذين تناولهم هذا فلا يخضعون لقلة معينة، فمنهم الخلفاء والأمراء والقواد والعظماء والبلغاء، وذوو الفضل ومنهم الحمقى والأشقياء وأصحاب العني، والجهل والزنادقة،وربما سيطر على الكتاب مقصد عام ينحصر في إظهار فضل العرب والحط من قيمة الشعوبية.

أما إذا أردنا تلمس الثقافات الأخرى فيه، حسبنا أن نرى صاحب"البيان والتبيين"يحدد البلاغة، كما يفهمها الفارسي واليوناني، والرومي والهندي، وينقل الآراء المختلفة عن النصارى وعن كسر برز جمهر،والمسيح والاسكندر، كما يقوم بمقارنات في الخطابة بين العرب والفرس والزنوجة، معلنا ما للفرس في صناعة البلاغة، وما لليونان في المنطق، وما للهنود في الحكم والأسرار والغرائب، أضف إلى كل ذلك أقوال في الرهبان وعوائدهم، وفي مذهب التناسخ عند الهنود وفي الزهد والمواعظ ونصائح اليهودية والمسيحية وفي صور ثقافية شتى لا تقع تحت حصر.

"البيان والتبيين: أفضل آثار الجاحظ وهو واحد من أشهر كتب الأدب العربي الذي يعلم الذوق ويصقل الفكر، وينبه الخاطر ويوسع المدارك وما من أديب في العربية منذ تاريخ تأليف هذا الكتاب إلى يومنا هذا إلا وقد أفاد منه واستعان به في شؤون الثقافة الإسلامية والأدب العربي، ولم يخل كتاب كبير من كتب عباقرة العربية من اثر منه مبتدئين بن قتيبة الذي هو نظير للجاحظ علما وفضلا.

---

[39] ـ المرجع السابق، ص 176.

[40] ـ د. احمد الطويل: الجاحظ أبو عثمان، ص ص 20 ـ 22 .

[41] ـ د جورج غريب: الجاحظ دراسة عامة، سلسلة الموسوعة في الأدب العربي، ج10، نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 96.

ومارين بعلماء المشارقة والمغاربة والأندلسيون مثل المبرد وعبد القاهر الجرجاني من المشارقة، والحصري والقيرواني من المغاربة وابن رشيق واحمد بن عبد ربه من الأندلسيين بل إن نسخ البيان والتبيين وصلت إلى الأندلس في حياة الجاحظ، فأعلت ذكره وجعلت كثيرا من شباب الأندلس المرتحلين إلى المشرق، طلبا للعلم ينحدرون إلى البصرة،لكي يروا الجاحظ ويتلقوا عنه [42].

3 - البخلاء:

فتح الجاحظ عينيه على الدنيا فإذا كل ما حوله يرسم الفقر، ويوحي بالفاقة واستفاق يجري بين الطلب والحرمان، وكأن هذا عدويريد قتله والانتقام منه، يقوده نوعان من التعطش والجوع جوع إلى الرغيف الذي يمسك حياته ويغذي جسده،وجوع إلى خبز المعرفة تطمينا لعقله المبدع وغذاء له، فقسم حياته إلى شطرين:

- قسم منه يرتاد حلقات الجامع الكبيرة لكسب العلم والأدب.
- قسم منها يبيع الخبز والسمك ليجمع ما يسكن به جوعه ويكسب المال.

والجاحظ المتزن العاقل راعه ما في الكون من قسوة فقر، ففريق يموت جوعا وفريق يصاب بالتخمة فعاد إلى صوابه وفكر أن الإنسان الحر هو صاحب الإرادة، قادر على صنع أفعاله ولم لا؟ فهو صاحب العقل المشرق وبواسطة هذا العقل يضيء الطريق، ويدل الإرادة على سبل الفعل.وهذا ما دعاه إلى الكد والجد حتى خرق طبقة الأغنياء الأثرياء[43].

ألف كتابه البخلاء وجمع فيه نوادر البخلاء والأشحاء، ففتح الجاحظ ببخلائه ميدان النقد الاجتماعي والخلقي على مصراعيه، إن في المقدمة تحليلا لنفسية البخيل وإظهار عجزه عن إصلاح معايبه إذا تنبه لها أو لإحداها، وانتحاله الأعذار ليخفي خلة البخل فيه، ويجعلها اقتصادا أو ادخارا.

وفي هذا الكتاب ثلاثة أشياء كما يقول أبو عثمان في "المقدمة"تبيين حجة طريقة وتعريف حيلة لطيفة والاستعادة نادرة عجيبة وأنت في ضحك منه إذا شئت وفي لهو إذا مللت الجد [44].

وبهذا هو وضع لكل طبقة اجتماعية قاموس من المفردات التي يتداولها أفرادها فيما بينهم، واصطلاحات يختصون بها دون سواهم وهذا مشقة من صميم لغتهم ولا يعرفها إلا ذوو الاختصاص في البخل وكذلك قال في طبقة الميسورين والأغنياء وطبقة المغنيين والمطربين وطبقة العمال والصناع وسواهم....

فالجاحظ يسرد أحداث القصص ويصوغها بروحه الخفية المرجعة، ويضفي عليها طابعا فريدا فكيها يجعل هؤلاء البخلاء أشخاصا مستحبين يعطف عليهم ونضحك من تصرفاتهم، ولا تبخل عليهم بمحبتنا وتتميز هذه النوادر بالمتعة الفنية الأدبية التي توفرها لنا فنتصور هؤلاء البخلاء في لباسهم وأكلهم ولغتهم الخاصة وتفكيرهم ونكتشف هذا التركيب المتضاد والمزاج المتنافي

---

[42] - د. مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص 171.
[43] - د. حسين الحاج حسن: أعلام في النثر العربي، ص ص 118- 120.
[44] - المرجع نفسه ،ص ص 124- 125.

وهذا الغباء الشديد إلى جنبه فطنة عجيبة، فهؤلاء البخلاء يبالغون في الاقتصاد حتى كأنه متأصل فيهم، ويمثلون نموذجا واحدا سواء كانوا من أهل فارس أومن المسجدين، الذين كانوا في المسجد للخوض في مختلف الأحاديث، تجمعهم صفات واحدة وفلسفة اقتصادية واحدة يدينون بمبادئها، ويعتمدون عليها في تصرفاتهم [45].

وسبب مهم في تأليف كتاب البخلاء دفع بالجاحظ إلى القيام بهذا النموذج الفني هو الهاجس الفني فأبو عثمان لاحظ المسجدين فوجد فيهم نماذج فنية درامية كاريكاتورية فأبدع بواسطة القلم كما يبدع الرسام بريشته والنحات بأزميله والموسيقار بلحنه ووتره ، كل هؤلاء الفنانين المبدعين اخرجوا إلى الوجود مآثر سجلت في سجل الخلود تحفة فريدة على مر الدهور[46].

يبدو بوضوح صراحة الجاحظ النبيلة، وصدقه الأصيل وتواضعه الكبير فهو يعترف بان الكتاب غير كامل، وان فيه عيوبا سترها وأسماء أيضا لم يبح بها إما تكريما لها أو خوفا منها أو شفقة على أصحابها.

وهذه بصفة مختصرة أهم مؤلفات الجاحظ التي نهل منها من تقدمنا، ولا تزال منها للدارسين في عصرنا هذا.

وفاتــه:

أصيب بداء الفالج[47] وكان يشكو من حصاة في الكلي، لا ينسرح البول معها وأقعده الداء بعد تجاوزه الثمانين انتقل أثناءها إلى البصرة، وقد وصف أبو عثمان حاله قائلا:"اصطلحت على جسدي الأضداد إن أكلت باردا اخذ برجلي وان أكلت حارا اخذ براسي، أنا من جانبي الأيسر مفلوج لو قرض بالمقارض ما علمت ومن جانبي الأيمن منقرس[48]لومر به ذباب لتألمت"

وما زال في علته حتى سقطت عليه مجدات العلم فقضت عليه، وذلك سنة 255هـ الموافق لــ878م [49]

وقال المبرد: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه وهو عليل فقلت له كيف أنت؟فقال: كيف من نصفه مفلوج ولو نشر بالمناشير ما أحس به، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لألمه والآفة في جميع هذا أني قد جزت التسعين ثم أنشدنا:

أترجو أن تكون وأنت شيخ كما قد كنت أيام الشباب

---

[45] - د. احمد الطويل: الجاحظ أبو عثمان، ص ص 23-25 .
[46] - د. حسن الحاج حسن: أعلام في النثر العباسي ،ص 120.
[47] - الفالج: وهو الشلل النصفي في شقه الأيسر.
[48]- النقرس: هو الشلل النصفي في شقه الأيمن.
[49] - المرجع نفسه، ص133.

لقد كذبتك نفسك لـبس ثوب دريس كـالجديد من الثيـاب[50]

ومات الجاحظ ولم يبق منه إلا الذكرى، فقد ترك فراغا لا يستطيع ملاه احد في الأدب العربي.

إذا فما هو الهزل وما هي دوافعه عند الجاحظ؟

الفصل الثاني

[50]- عمر

تعريف الهزل و دوافعه

تعريف الهزل

دوافعه

المبرر البيولوجي

المبرر الفزيولوجي

صفاته و شذوذ خلقه

المبرر الفطري

استثمار الحوادث

ـ تعريف الهزل:

إن النظرة إلى الهزل وأثره، يميزان الأدب الفكاهي النابغ من الضحك، وموقعه من سرور النفس،ومن مصلحة الطباع، وذلك انه على حد تعبير الجاحظ: "شيء في أصل، وفي أساس التركيب"[51]

فكلمة هزل، تتكون من ثلاثة أحرف: هـ – ز – ل.

---

[51]- من كتاب الجاحظ:البخلاء، بيروت، أدبيات الأدب الفكاهي، د. عبد العزيز شرف، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، أبو نجمان، ص ص 14-15.

وهو: الهزل ، الهزالة،..... أي: السخرية، والفكاهة.

ويقال: مبالغة الرجل في الكلام، أي:أكثر فيه نوع من الهزل والسخرية، والضحك، وهو خروج لا منطقي.[52]

فالفكاهة هي المزاح وتطلق على الرجل الفكه، وكلمة: هزلي تطلق على الحيات،وتطلق على الرجل ذي المزاج الطيب والمرح، فيقال أطرف فلان أي ،أضحكه وأطرفه، والاسم:فكية.

والهزالة: بمعنى السخرية والفكاهة[53] ، فهي كلها ألفاظ تدل على الضحك، وذلك كما ورد في لسان العرب عن الأزهري في الفكاهة قوله:"وما علمت أحدا من العرب،قال:أن النخيل والكروم ، ليست من الفكاهة ،وإنما شذ قول النعمان بن ثابت، في هذه المسالة، عن أقاويل جماعة فقهاء الأمصار لقلة علمه، بكلام العرب،وعلم اللغة، وتأويل القرآن العربي المبين..."[54]

حيث نلاحظ كلمة فكاهة في القول، والتي تعني مجموعة من الثمار، وهذا ما وجدناه في معجم العرب، كما لا ننسى أنها أيضا وردت في كتاب الله عز وجل جلاله،في قوله:"أن أصحاب الجنة اليوم، في شغل فاكهون"[55] وهذا دليل على السرور والغيطة،ويقول أيضا:" أن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا، يضحكون، وإذا مروا بهم،يتغامزون، وإذا انقلبوا إلى أهلهم ، انقلبوا فاكهين."[56] وأيضا معناها المزاح و الضحك .

وجاءت تفاسير كثيرة وردت في لسان العرب لابن منظور اخترنا منها بعضها وهي:

"سخر، سخرية: بمعنى فكهته وأضحكته. وسخرت الدابة لفلان:أي ركبها بغير اجر".[57]

فالمسخر :"هو المقهور الذي لايستطيع أن يخلص نفسه من القهر،فاصله: التدليل".

يقول الجاحظ "ويفضل خصال الضحك عند العرب، تسمي أولادها بالضحاك وببسام، ويطلق بطليق،وقد ضحك النبي ـصلى الله عليه و سلم ـ ومزح وضحك الصالحون ومزحوا، وإذا مدحوا قالوا:"هو ضحوك السن و بسام العشبيات،وهش إلى الضيف وذو أريحية[58] واهتزال[59]، وإذا ذموا قالوا: هو عبوس وهو كريه، كما لح، وهو قطوب وهوستم المحيا[60] وهو مكفهر أبدا، وهو كل به، ومقبض الوجه، وحامض الوجه، وكأنها وجه بالخل منضوح، وللضحك موضع وله مقدار، وللمزاح موضع وله مقدار، ومتى

---

[52] - محمد بركات حمدي أبو علي: سخرية الجاحظ من بخلائه،ص 50
[53] - فتحي محمد عوض أبو عيسى: الفكاهة في الأدب العربي،ص ص 137 - 139
[54] - المرجع نفسه ص 140.
[55] - سورة المطففين:الآية 29-31.
[56] - سورة يس: الآية: 55.
[57] - ابن منظور: لسان العرب، المجلد 10 مادة (سخر)
[58] - الأريحية: خصلة تجعل الإنسان يرتاح إلى الأعمال الحميدة،و بذل العطايا.
[59] - الاهتزال: اهتزا لي الشيء، ارتاح له.
[60] - تستيم المحيا: كريه الوجه.

جازهما احد و قصر عنهما احد، صار الفاضل خطلا[61]، والتقصير نقصا فالناس لم يعيبوا الضحك إلا بقدر ولم يعيبوا المزح إلا بقدر ومتى أريد بالمزح جدا و الضحك وقارا"[62] .

وحسبنا أن نسد أذاننا عن سماع أنغام الموسيقى، وكأنه يبدو لنا الراقصون في حلبة الرقص، بمظهر موجودات هزلية تبعث على الضحك والسخرية، وهذا ما نراه عند الجاحظ ، والذي اتضح ذلك جليا من خلال قوله أن الشرط الضروري الذي يتطلبه الحدث حتى يكون كوميديا ـ إنما هو أن تخدر قلوبنا إلى حين، والسبب في ذلك وإنما يخاطب العقل المعض وكلما قوى حظ الفرد، من روح الفكاهة زادت قدرته على تذوق النكتة وإطلاق الدعابة[63].

فهذه المادة يجب أن تشكل و تهذب وفق مبادئ النظام والتناسق و الجمال و التأثير ومن ثمة نجد عنصرا رابحا، هو العنصر الفني أو العنصر ألتأليفي والأسلوبي.

برع الجاحظ في إتقان كل هذه المستويات الفنية والتي تدعو إلى الضحك و الإضحاك إذ أن اسمـه اتصل بـفنون القول اتصـالا مبـاشرا فمزح في كل ما خلقه من أعمال قصصية بين الجد و الـــهزل.

كما قيـل أيضا:"فالـهزل يلتقي مع مادة هزل، و هزء، فالهاء و الزاي يدلان على الخفة و اللين، فاصلها هزأ الرجل إبله هزاء أي قتلها بالبرد و هزلت الراحلة إذ حركتها"[64]

تـعريـف الـهزل اصطلاحـا:

هو مأخوذ من الممازحة وممازحة شخص لشخص آخر إما الاستهزاء منه أو إضحاكه من اجل الإفراج عنه.

دوافعـــه:

أ ـ المبرر البيولوجي:

لقد كان الجاحظ كما يدل لقبه، جاحظ العينين أي بارزهما اسود، ذميم الخلق قصيرا و لكنه قوي البنية نشيط الجسم ، و تعتبر هذه العوامل الأساسية و التي غيرت شعوره النفسي المساهم دائما في إبرازه أفراد المجتمع وذلك بشعوره ينقص كعاهة تلحق له إحساس بالدونية يربك مسار حياته، وبالرغم من ذلك فلم ينطو على نفسه ولا العزلة، ولم يقص ذاته من ركب الحياة لأنه روض عواطفه على التكيف والتعايش مع الواقع من جهة و من جهة أخرى مع أفراد مجتمعه آنذاك .

وفي ظل هذا الشعور البائس اتجه الجاحظ في النزاع الاجتماعي و الضغوطات النفسية المؤلمة والموجهة له من طرف أفراد المجتمع حتى من أقربائه يسبون مظهره الجسماني و صورته القبيحة و الحرمان المادي، حيث كان يبيع الخبز و السمك لان أسرته كانت شديدة الفقر فهذه عوامل جعلته يشعر بالإهانة و النقص.

---

[61] ـ خطلا: الحمق و الخفة، والكلام الكثير الفاسد.
[62] ـ الجاحظ: البخلاء، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 19.
[63] ـ زكريا إبراهيم: سيكولوجية الفكاهة والضحك، القاهرة، مكتبة مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص 132.
[64] ـ محمد بركات أبو علي: سخرية الجاحظ من بخلائه، ص 50.

فهذا الشعور السلبي زاد قوة و شجاعة الجاحظ بل فجر أعماق الوجدان الداخلي و الطاقات الخفية إلى إبداعات مقتصرة جلها على السخرية هذا ما جعلنا نبحث عن مصدر هذه الطاقات الإبداعية فوجدناها منبعثة من الواقع الاجتماعي و النفسي...[65].

وكان عظيم الذكاء، قوي الملاحظة واسع التفكير، بارعا في كثير من علوم اللغة و الأدب، وكان مفكرا حرا قليل الاهتمام بما تواضع عليه الناس، ومن العلوم الطبيعية و العقلية التي برع فيها أيضا وكان يجمع إلى ذلك حب اللهو و الدعابة و المرح الأصيل[66].

وقد صنف علماء النفس الهزل إلى ثلاثة أنواع هي: الفكاهة و النكتة و الكوميديا ويرون أن هذه الأنواع الثلاثة تقابلها في حياتنا النفسية: الوجدان و الإدراك و التعاقب ويذهب إيزنك أن هذه الجوانب الثلاثة في ظاهرة الضحك تتمثل في مثلث متساوي الضلعين على النحو التالي :

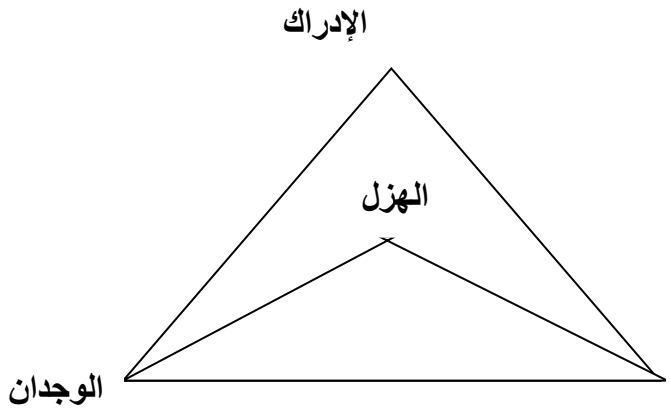

إذ يقول ايدلر :

"ومن اللحظة التي ينفصل فيها الفرد عن بدن الأم، تبدأ أعضاء جسمه و الأعضاء التي لحق بها القصور، في جهادها ضد العالم الخارجي، وهو جهاد شاق جليل و أقصى بكثير في عنقه من الجهاد الذي تقوم به الأعضاء السوية أما الضحايا التي تتهافت، و تسقط في ميدان هذا الجهاد فان عددها يفوق بكثير جدا عدد جميع تسرعهم نوائب هذا الزمن، وأحداث الحياة الكثيرة... ومع هذا فإن ألوان هذا القصور التي قسمت عليهم تهيأ لهم قدرة كبيرة التعويض ن وتزيد قدرتهم على التغلب على العقبات العادية و الخارقة للعادة، وتدفع بهم إلى تكون كثير من الوظائف الجديدة وأشكال النشاط العالية... وعلى هذا المنوال تصبح الأعضاء القاصرة تنوعا لا ينبض بالعناصر التي يستطيع الكائن الحي أن يعمل على تحسنها و الانتقاء منها، حتى يستطيع أن يوفر بينها و بين ظروف الحياة التي أقبل عليها، فإن بلغ في ذلك غاية كبيرة من

---

[65]- د. عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي، ج 2، الاعصر العباسية، الأدب المحدث، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 50.

[66]- المرجع نفسه، ص 305.

النجاح كان ذلك نتيجة لمهاراته في ترويضها، وقدرة الأعضاء القاصرة على التغير و التحول ولطاقتها الكبيرة، التي تدفعها نحو النماء و الزيادة يضاف إلى ذلك كله ما يؤدي إليه الانتباه و التركيز الداخلي من التقدم الكبير في العقدة النفسية التي تتصل بتلك الأعضاء"[67].

استطاع ايدلر في هذا النص تحديد نوعين من القصور هما: القصور البدني والقصور النفسي، وانه يؤكد مرة أخرى على وجود صلة وثيقة تربط بينهما، باعتبار أن القصور البدني تنجر عنه تغيرات واضطرابات نفسية تكون عاملا خلاقا في النمو النفسي.

وإذا قمنا بإسقاط هذا الكلام على شخصية الجاحظ فسوف نجده قد عانى من سلبية هذا الصراع النفسي حيث كان تأثيره قويا على نفسيته وهذا ما تستشفه من الرواية السالفة الذكر.

"فدعاؤه فيها دليل على النظرة الموجعة و المؤلمة التي كان يرمقه بها المجتمع بما زرعت في نفسية الإحساس بالنقص و القصور ويعتبر رد الغلام عليه تلك الجملة الساخرة أيسر عليه أن يضحك من جديد"[68].فهذا تجريد لكل معاني الجمال والأناقة وكان الجاحظ ما هو إلا مجموعة من العيوب الجثمانية والتي لا تصلح لشيء غير الهزء و السخرية و اللامبالاة وهذا ما لا يتصف به العقلاء و الحكماء.

وهذا ما قيل في المزاح تجمعا في لتلك الصفات المتواجدة لدى الجاحظ فقال عنها الحجاج بن يوسف الثقفي:"وما زالت الحكماء تكره المزاح وتنهي عنه فقال: المزاح من أدنى منزلة إلى أقصاها عشرة أبواب ، المزاح أوله فرح وآخره نزح، المزاح نقائض السفهاء كالشعر نقائض الشعراء، والمزاج يوغر صدر الصديق و ينفر الرفيق، والمزاح يبد السرائر"[69]

ويرى أبو التوأم: "أن الروح و البيان هما أساسيان في عماد العلم و البدن و الحدس والذوق و مناجل إدراك الحقائق عن طريق الحذف و الإيجاز"[70].

ب ـ المبرر الفيزيولوجي:

لقد حرم الجاحظ من الجمال الفزيولوجي، فورث عن أجداده ذلك الأصل البسيط والنسب الوضيع فلم يجد من يساعده على هول الحياة ومن فيها، بمال أو جاه أو رفعة اجتماعية، كما انه ليس لديه أصل يضرب به المثل في العراقة كل هذا جعله في صراع داخلي دائم فراح يبحث وينقب في أسرار و أعماق الحياة من اجل أن يفجر ينابيع الغضب و الخجل وطاقته الدفينة، لتكون له عونا سهلا على مسايرة عصره، و مواجهة الظروف الصعبة و المضايقات و الأزمات النفسية المؤلمة الحادة كانت من أهمها : هي حاجته للناس وتقديرهم له واحترامه، وذلك كان سببه الظروف التي كانت خارجة عن إرادته، مسببة له العجز وتشجيعه على ما عنده من قدرات فائقة التصور في نواح كثيرة، "بالرغم من المعاناة التي أصابته وذلك لإشباع هذه الحاجة النفسية، لخير معين على إشباع باقي الحاجات الأخرى والمرتبطة بها ارتباطا وثيقا و أهمها حاجته لتقدير نفسه واحترامها".وبعث أثاره و نشرها.

---

[67]- د.محمد بركات حمدي أبو علي: سخرية الجاحظ من بخلائه، ص 50.

[68]- المرجع السابق، ص 50.

[69]- أبي إسحاق إبراهيم ابن علي الحصيري القيرواني: زهر الآداب وشرح الألباب، ضبطه و شرحه وعلق عليه وقدم له: د. يوسف علي الطويل، منشورات محمد علي بيضون ـدار الكتب العلميةـ بيروت لبنان ، ج1، 1417هـ 1997م، ص 152.

[70]- محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغة والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين،ط1, 1982م، ص 244.

إذن فلا يمكن أن يطلق كلمة أديبا هكذا بالسهولة، على كاتب عربي بقدر ما تنطبق على شخصية

الجاحظ وملامحها المتغيرة من عصر إلى عصر، ومن بيئة إلى بيئة، مفيد في عصره و بعد عصره. فالجاحظ لم يتوقف عند هذه النقطة بل كانت جد هامة في حياته الاجتماعية و السياسية وخاصة الفكرية و الأدبية و شرع في البحث عن طرق ووسائل نشرها لإشباع حاجته النفسية والتي ربما تسهل له الصلة بينه و بين أفراد مجتمعه و حتى يستغل كفاءته أحسن استغلال و الراحة النفسية وذلك لا يأتي بالشيء الهين و السهل إلا بعد جهد و عناء طويلين.

فإنه راح يجعل المرء بهزئه و ضحكه حين يضحك ينسى كل همومه و آلامه بل قد ينسى حتى أوجاعه الجسمية نفسها، فالواقع الضحك حسب الجاحظ انه يلقي على الواقع ستار اللاواقعية، و يرفع عن هموم الحياة ما فيها من جدية، فإنه يهون على الإنسان عبئ الحاضر ويعده لمواجهة المستقبل بروح البشر والترحاب،ومن هنا يستنتج أن للضحك فعلا سحريا في شفاء النفوس، لأنه ـ في العادة ـ بالابتسام و الضحك أن يؤخذ من الحياة أكثر مما يستطاع أخذه بالتقطيب و العبوس[71].

ولهذا يقول ايدلر:"إن العاهة تدفع بصاحبها إلى العمل، ويعتبر زيادة العمل، وإتقانه الزائد من قبل التعويض عن القصور أو النص"[72].

فالجاحظ إذن قد تمخض عنه اضطراب نفسي عميق، حيث حاول بكل جهده تعويض ذلك النقص و القصور الذي لحقه بالتعامل مع أفراد المجتمع بنفس الطريقة التي عاملوه بها، والفرق بينهما هو انه كان الجاحظ قد ارتقى بتلك الملكة من مستواها الشعبي إلى مستواها الفني الفكري الأدبي، فهذا التفسير النفسي يمكن إثبات عكسه من جوانب سلبية إلى جوانب ايجابية من اجل إفادة مجتمعه.

ج ـ صفاته وشذوذ خلقه:

لقد كانت من طباع الجاحظ النفسية:"انشراح الصدر وحب الحياة و التطلع إلى آفاقها، ذو مزاج مرح مضحك، لديه خفة الدم، لا يحب الانطواء على الذات، ولا الاكتئاب ولا الغفلة، فكان سريع الفهم، حاد الذكاء، خفيف الجسم، لديه إرادة فذة، همته عالية ذات أعصاب متينة[73] وبالرغم من هذه الشخصية السوية إلا انه دائما يشعر بالدونية و القصور فلقد كان اسود اللون، جاحظ العينين، قصيرا، ذميم الوجه، مجدول الجسد، قوي البنية، متين العصب، شديدا في تحمل الأعباء، صبورا على المكاره ذو طموحات عالية، وانه من أحفاد الرقيق"[74].أي من العناصر الإفريقية ولكن بعقله يرتقي إلى مجال العباقرة الكبار، و الفنانين المبدعين، وخصوصا فيما يتعلق بسلوكه الشخصي في الحياة وعاش عمرا مديدا، ولكنه لم يتزوج، بل كان يتخذ جارية بعد الأخرى[75]. فبدأت ماساته بالجوع و الفقر و التعب، ثم ثابر من اجل التعلم فعلا نجمه في البصرة و بغداد، وهذا ما جعله مصدر حب و مهابة، وأحبه الناس من اجل أن ينتفعوا به، و

---

[71]- د. زكريا إبراهيم: سيكولوجية الضحك و الفكاهة ، ص ص 108- 109.
[72]- د. محمد بركات حمدي أبو علي: سخرية الجاحظ من بخلائه، ص 50.
[73]- د. حسين الحاج حسن: أعلام في النثر العباسي، ص 92.
[74]- عمر الدقاق: ملامح النثر العباسي، دار الشرق العربي، بيروت، ط2، 1982م، ص 145.
[75]- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي،ص 305.

خوفهم منه، لأنهم اقل منزلة منه ولأنه دافع عن العرب بالمعية وهذا ما نجده عند العرب الاقحاح، وذلك لإنتمائه قلمس عمر وبن قلع الكناني[76].

ومن صفاته التي اتسم بها مثل: جحوظ عينيه، ونتوء حدقتيه، فهو مثل سقراط في بشاعته و وذمامته، وشديد السمرة، صغير الرأس، دقيق العنق، صغير الأذن[77]، وفي يوم استدعاه الخليفة المتوكل، فاستبشع منظره، واستهزأ منه و صرفه بعشرة آلاف درهم، بعد أن أراده معلما لولده[78].

وأصبح يضرب به المثل في بشاعته فقال عنه مخلد بن علي سلامة في هجاء إبراهيم بن المدبر:

رَأيتُـك لا تُحِـب الـوُد إلا إذَا هُـوَ مِنْ عصُّي جِلْدِي

أرَانِـــي الله وَجْـهكَ جَاِحظِـيًا وَعَينَـاكَ بَشَـارُ بْنُ بُـرْدٍ

و يقول: احمد سلامة الكتيبي:

لو يمسخ الخـنزير مسخا ثـانيا ما كـــان إلا دون قبــح الجاحظ

رجل يثوب عن الجحيم بوجهه وهو القذف في عين كل ملاحظ

ولــو أن مرآة جلت تمثـاله ورآه كان لـه كأعظم واعـظ

إن محاولة جمع أثار شكله، وصفاته، فهي نادرة وقليلة جدا وكل ما وصلنا منه هو انه كان قصير القامة وصغير الرأس دقيق العنق، وصغير الأذنين وشديد السمرة[79]،رغم ذلك فهو موسوعة أدبية شاملة، وعملاق عصره فكرا و أدبا و ثقافة، شخصية قوية قادرة على الابتكار والإبداع.

وهكذا عاش الجاحظ في غمرة النقائص الجسمية والتي كانت وراء دعابته و مرحه وسخريته من نفسه، فكان لطيف الروح ومحبا للحياة، حاد الذكاء متفائلا يسجل الفكاهة حتى ولو كانت على نفسه. فها هو يقول:"ما أخجلني إلا امرأتان، رأيت إحداهما في العسكر مصيف الخلفاء، وكانت طويلة القامة، وكنت على طعام فأردت أن أمازحها، فقلت لها: انزلي كلي معنا، فقالت: اصعد أنت حتى ترى الدنيا.

وأما الأخرى فجاءتني، وأنا على باب داري فقالت لي: إليك حاجة، وأريدك أن تمشي معي لتقضيها، فمشيت معها حتى آتت بي إلى صائغ يهودي، وأشار إلي بفص وقال: أمرتني أن أنقش عليه صورة شيطان، فقلت لها: يا سيدتي ما رأيت الشيطان، فجاءت بك[80].

فالجاحظ لم يكن غريبا عن بيئته، بل كانت موجودة بعمق في ذاته ومترجمة في كتبه، فعند قراءتك لها تبقى حائرا، ومندهشا أجادة أم هازلة؟ متواضعة أم متكبرة؟ عميقة أم بسيطة؟ أجل حار فيها الفكر، فلم

---

[76]- شارل بلا: الجاحظ في البصرة و بغداد وسمراء، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 101.

[77]- جورج غريب: الجاحظ دراسة عامة، ص 20.

[78]- د. طاهر احمد مكي: دراسة في مصدر اللغة، ج1، ط1، 1968م، ص 158.

[79]- د. فتحي محمد عوض أبو عيسى: الفكاهة في الأدب العربي، ص 69.

[80]- د. عمر أبو النصر: آثار الجاحظ أبو عثمان بن بحر، ط4، 1929م، ص 49.

نجد من ذلك مخرجا ليبعدنا عن الحيرة و الدهشة والريب، ولكن ما يفهم هو مزيج بين الجد والهزل والتواضع، والأنفة والتعمق...[81].

وهكذا ولد الجاحظ على الفكاهة و المزاح، "وكان مزود باستعداد ضخم كبير، فكانت قيد روح المداعبة، مع الناس ويبادلهم بالنوادر لإشباع رغباته وميوله"[82]. فقد كانت حياته سلسلة من الجد و العلم و العناء، كلها طرائف ظريفة متجددة يوما بعد يوم رغم دمامة هيئته وحرمانه."فإذا رجعنا إلى بغداد ورئاسته لديوان الرسا ئل، في عهد الإشراف، حيث نجده زعيم الحركة الفكرية، والفنية والدينية والسياسية، من عام 198هـ، من عهود الخلفاء: المأمون،والمتوكل والمعتصم، فكانت لديه مهمة عظيمة ذات شرف ونباهة وثقة، حيث ترأس ديوان الرسائل، وكان متفوقا في صفوف المعارف، والعلوم وفي السياسة"[83].

وكما انه لا يحب السيطرة و الانطواء، بل ميال إلى التحرر بإطلاق عنان العقل، وخاصة انه تجلى ذلك في عدم اهتمامه بالوزراء و الخلفاء، فهو لم يرض أن يجعل قلمه عميلا لهم، مما زاد حقده على الموظفين، خاصة انه عند دخوله لديوان المكتبات، فإذا به يرى قوما قد صقلوا ثيابهم، وصففوا عمائمهم، ووشوا طرزهم فقال:"هؤلاء كما قال الله عز وجل:"فأما الزبد فيذهب جفاء" وبهذا توصلت الثقة بينه وبين الوزير الزيات في عهد المعتصم 218هـ، إلى قمة عالية فقدم له كتاب الحيوان"[84].

ثم علت منزلة الجاحظ شيئا فشيئا، ساعده على الاتصال بأبي إسحاق النظام، فهو احد أعلام المعتزلة، حيث أخذ عنه علم الكلام، وفن المجادلة، وطريقة الحجج والبراهين المختلفة والمتنوعة، أصبح لديه ما يسمى بالجاحظية، فتلك السخرية والضحك تحولت عنده إلى شمائل كاملة ليست بنقائص، تعجزه بل زادت من اكتسابه مكانة عند العلماء"[85]. فهذا ثابت بن مرة قال:"ما احسد هذه الأمة إلا على ثلاثة أنفس.

عقم النساء فلا يلدن شبيهه إن النســاء بمثله عـقم

وهكذا كانت هذه جملة من خصائصه النفسية، وشذوذ خلقه، حيث كان من التأثر والتأثير بينه وبين طبائع الناس، فلقد تعرف على أخلاقهم صالحها وفاسدها وفضائلها، ورذائلها، ذلك ما زاده اكتسابا واستعدادا للأخذ من هذا المجتمع، بل أعطى وقدم لعصره أكثر مما أخذه منهم"[86]

وما ذكر عن الجاحظ وصفاته، فلا يمكن إنهاؤه وتكملته، لأنه نادرا وقليلا ما وصلنـا إلى أثــار شكـلـه.

ومن نماذج اتصال الجاحظ بالمعتزلة و المتكلمين مثال:

ضرورة امتزاج الخير بالشر وبقائهما:"اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزج الخير بالشر، والضار بالنافع والمكروه بالسار، والكثرة بالقلة، ولو كان الشر صرفا لهلك الخلق، أو كان الخير محضا سقطت المحبة، وتقطعت أسباب الفكرة ومع عدم الفكرة..."[87]

---

[81]- د. نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، عن أدب الجاحظ لسندوبي، ص 28.
[82]- د. شارل بلا: تاريخ الأدب العربي، ص 87.
[83]- د. حسين الحاج حسن: أعلام في النثر العباسي، ص 91.
[84]- المرجع نفسه، ص 91.
[85]- د.احمد الطويل: الجاحظ أبو عثمان، ص 7- 8 .
[86]- د. جورج غريب: الجاحظ دراسة عامة، ص7- 8.
[87]- الجاحظ: الحيوان، ج2، فوزي عفوي، مكتبة حسين النووي، الوزارية، بيروت لبنان، ص 204.

فهو بعد قوله هذا يوضح انه لا شكر على محبوب، ولا توجد مفاضلة بين الناس، ومنهم الأنبياء والأولياء، فهو يدعو إلى المساواة بينهم مهما كان جنسهم وقيمتهم مثل حال السبع و البهيمة والغباوة والبلادة:"فأين تقع لذة البهيمة، بالمعلوفة، ولذة السبع بلطخ الدم، واكل اللحم، من سرور الظفر بالأعداء، ومن افتح باب العلم بعد إدمان الفزع؟ وأين ذلك من سرور السؤدد ومن عز للرئاسة؟ ولو استوت الأمور بطل التمييز، وإذا لم تكن كلغة، لم تكن مثوبة..."[88].

فمنهم من قوله انه، لو كان ما يشتهيه الغرير[89]، والجاهل بعواقب الأمور لبطل النظر وتعطلت الأرواح من معانيها وفشلت وتوقفت والعقول من ثمارها وقسمها بين ملذ ومؤلم، وضار ونافع وفاسد وصالح... وبهذا يقيم الجاحظ و يدافع قضيته عن طريق الحجج و البراهين ورأيه في علاج المشكلة وبيان حكمة الله في اختلاط الشر والخير، وبقائهما على وجه الأرض، مع وجود الإنسان[90].

أراد الجاحظ من هذا كله الوصول إلى أهداف عميقة، ليعبر عن فكرته بهذا النفس الطويل، و الروح القوي وهذا الأسلوب الراقي و الطريف، والذي تتشابك فيه عناصر شتى، والتعبير الدقيق، وتوليد الأفكار وتسلسلها، وكان مغرما بالمقابلات حتى بين الألفاظ من اجل إبراز المعاني وتوضيحها وقد قيل:"إن الضد = ظهر حسنة..."وهكذا لا ينسى انه كانت لديه ثقافة واسعة على أسرار الحيوان وتجلى ذلك في كتابه الحيوان، والتي جرت حوله مجادلة في رواية المفاضلة بين الكلب والديك[91].

د ـ المبرر الفطري:

إن الجاحظ ابن البصرة والكوفة اللتان تزخران بالعلوم و الآداب المتنوعة وبغداد كانت لا تزال في مهد الطفولة، وقد قيل في حقه:

"لو يخلق الخنزير خلقا ثانيا ما كان إلا دون قبح الجاحظ

وهكذا يبقى السؤال مطروحا ومفتحا إن كان الجاحظ من أسرة عربية عريقة أم من عناصر افريقية متشتتة هنا وهناك المعروفة بالرق"[92].

فمن خلال كل تلك المواصفات عرفت شخصيته الحقيقية التي جعلته يسلك طريق يطرق فيه باب العلم والأدب و الحضارات فقد حفل عقله بألوان شتى من العلوم والمعارف من ثقافات شرقية، يونانية ودينية. فقد ضربت له أمثال عديدة عن خلقته،"فهذه النقائص الجسمية كانت بمثابة العامل الفطري و الرئيسي، في دعابته ومرحه وسخريته حتى من نفسه، واستخف من العادات المرعية واستطاع المزاوجة بين الجد والهزل ، وقد كان الجاحظ عظيم الذكاء، قوي الملاحظة، واسع التفكير، بارعا في كثير من العلوم اللغوية والأدبية، وفي العلوم الطبيعية العقلية، فكان كل ذلك يجمعه بين حب اللهو و الدعابة، والمرح الأصيل،

4- المرجع نفسه، ص 206.

[89]- الغرير: قليل الخبرة و التجربة.

[90]- د. محمد عبد الغني الشيخ: النثر الفني في العصر العباسي الأول اتجاهه وتطوره، ج1، جامعة وهران، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، رقم النشر 937 - 7 - 83، ص 123.

[91]- المرجع السابق، ص ص 124-125.

[92]- جورج غريب: الجاحظ دراسة عامة، ص 18.

كما انه كان مفكرا حرا، قليل الاهتمام بما وضعه عليه الناس، وخصوصا فيما يتعلق بسلوكه الشخصي في الحياة"[93]، وصادق المواساة، سريع البديهة، متفائلا.

ويقال إن من طبعه انشراح صدره، خفيف الدم، غير محب للانطواء على الذات، لا الاكتئاب ولا الغفلة، ملبي الرغبات الفكرية والروحية والجسدية بإرادة فذة وهمة عالية وأعصاب متينة، وصبورا على المكاره، شديدا على تحمل الأعباء، وهذا هو مجال العباقرة، والعلماء الكبار.

إذا كانت هذه هي أحوال الجاحظ الفطرية، فلا عجب أن يعلو على أمثاله فضلا وفهما، وان يقام للغة العربية في كل ضرب من ضروب العلوم والآداب والفنون ، فيقول:"يوما دخل عليه بعض إخوانه فقال له: كيف حالك يا أبا عثمان؟ فقال الجاحظ: سألتني عن الجملة فاسمعها مني واحدا واحدا: حالي إن الوزير يتكلم برأي، وينفذ أمري ويواتر الخليفة الصلات إلي، واكل من لحم الطير أسمنها، والبس من الثياب ألينها، واجلس على الين الطبري، اتكئ على هذا الريش ثم أيسر على هذا حتى يأتي الله بالفرج فقال الرجل: الفرج ما أنت فيه، فقال: بل أحب أن تكون الخلافة لي، ويعمل محمد بن عبد الملك الزيات بأمري ويختلف إلي، فهذا هو الفرج؟، وقد سئل الجاحظ: ألك ضيعة بالبصرة؟ فابتسم الجاحظ وقال: إنما أنا وجارية لي وجارية تخدمها، وخادم وحمار"[94].

فحبه للجدل والمحاورة الدائمين الطويلين وطريقته في الاحتجاج، والمجادلة جعلته يتصل أحد أعلام المعتزلة، وهو أبي إسحاق النظام. فهذا العامل الفطري جعله يتخذ الهزل والجد موضعا أساسيا في حياته الأدبية والفكرية جعله يقاوم صراع هذه الحياة الصعبة، فلقد كان بمثابة زهرة القرون العباسية، ومر بأطوار الحياة كلها، من بيع الخبز والسمك إلى بلاط الإمارة و الخلافة، وكان يتردد على الوراقين، والدكاكين، من اجل القراءة، وكان يكريها، فاطلع على مختلف الكتب و الصحف المترجمة إلى العربية من الهندية، اليونانية والفارسية، والفلسفة واللغة، ومساهمته الفعالة في حركة الترجمة[95].

فكذلك العامل الفكري ساعده على جزالة اللفظ ومدى توظيفه في كتاباته وقصصه فكان واضح البرهان، حكيم، سريع الفهم، فهذا الموروث العجيب زاده حنكة وفطنة متميزتين، وحادتين ساعدتاه على تخطي سخريته من الناس و التهكم له:"فكان دائما ما يلجأ إلى تقويم السلوك الاجتماعي، من خلال دراساته الهزلية عليهم و أساليب عيشهم و سلوكهم"[96].

هـ ـ استثمار الحوادث:

لقد اهتم الجاحظ بالمعرفة ارتجالا، وسفرا،واطلاعا واسعا على ثقافات الأمم الأخرى، قد اجمع الكتب فغدا متعلما عالما، قرأ ذاته، فعرف كيف يتركب الجسم، وجريان الروح فيه، والتأمل في خلق الله عز وجل، وظاهره وغائبه، فهنا ظهرت جليا ثقافة الجاحظ عميقة وبعيدة المدى، حيث كان ذا بعد إنساني[97].

---

[93]- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ، ج2، ص 305.
[94]- د. حسين الحاج حسن: أعلام في النثر العباسي، ص ص 90- 93.
[95]- د. احمد الطويل: الجاحظ أبو عثمان، ص 87.
[96]-د. شكري العياد: القصة القصيرة في مصر، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، (د.ط)، (د.ت)، ص 17.
[97]- د. حسين الحاج حسن: أعلام في النثر العباسي، ص 90.

يلاحظ من خلال كتابات الجاحظ أنها تجري على الفطرة و التأثر بابن المقفع من خلال كتاب "كليلة ودمنة"لكن أسلوب الجاحظ ارق وامتن وهذا ما نجده في كتابه المشهور "الحيوان"، والذي كان اكبر حجما واجمعها لفنون العلم والأدب معا، حيث جمع فيه كل مفيد لأنه أراد من ذلك تحبيب العلم إلى قلوب الناس فكتابه كلام على السنة الحيوان وأجناسه وأعضائه وأحواله، مستمدا بذلك من القرآن الكريم ومع كلام العرب، ولا ننسى انه كان مهتما أكثر بـ:الفيلسوف آرسطوطاليس(ت 3220ق.م) وكان ينتقده كل مرة،"ونلمس استطرادا كثيرا ومملا في كتابه الحيوان كالشعر والأدب والفلسفة ونجد فيه الأمثال حوالي خمسين مثلا طردية (قصيدة في وصف الصيد) لأبي نواس"[98].

كما انتقد أيضا:" ومدارسته للشعر معانيا ومنطقا ومتانة في التعبير بلا طبع ولا ديباجة ولا رونق لأنه حاول التكسب بالشعر في بدء الأمر وفيه نوع من الحكم وكتب عن فنون العرب المعروفة في أيامه، و نظر القرآن و مسائله و المعتزلة والرد على اليهود والنصارى، ومتابعة النساك و كلامهم، وتطفلهم، وبخلهم...كتاب اللصوص، الرد على العثمانية، إمامة الصيف والشتاء ، كتاب الجواري، افتخار التسوية بين العرب والعجم، المزاح والجد ورسالة القلم...وغيرها"[99].وزيادة على ذلك"مصائب الغير، التي زادته في التأثر والتأثير بين أفراد المجتمع، فهي من بين الدوافع التي تدفعنا إلى الضحك، وهي التي يقع فيها بعض أفراد المجتمع، بغض النظر عن الأذى و الضرر، بحيث كانت تافهة في نظره، فلا تحرك ساكنا من الحزن والشفقة،بل تثير فينا الرغبة والتهكم، والسخرية وبمعنى ذلك أن مصائب الغير هي مصدر الفكاهة بشرط وجود فيها عامل التفاهة والهزل والجد معا فتجعلهم في موقف هزلي مضحك متهكم"[100].

فكانت حياته عاصفة، متخذا المجتمع مادة خام لقلمه، جعلته يشن تيارا جديدا في الأدب عامة والفكاهة خاصة، وهذا ما ميز أسلوبه بالطرافة والدعابة لتبعد الملل والسأم عن القارئ.

وهكذا نجد كثيرا من الاستطراد واللاواقعية في كتابات الجاحظ، ففيه نوع من التشعث في التأليف، فهو ينتقل من باب إلى باب آخر ومن عصر إلى آخر ومن خبر إلى خبر ومن جد إلى هزل...حتى قال فيه كارا دي قو:"إن الموضوع عند الجاحظ ليس إلا وسيلة للاستطراد"[101].

حيث اخذ الجاحظ نموذجا ومنهجا في كتاباته، واعترف مرارا بذلك من اجل التفنن في كتاباته فصلها وبوبها في أشكال مختلفة فهو يقول في كتابه الحيوان:

"قد زعمت والله الموقف ـ إني أوشح هذا الكتاب وأفضل أبوابه بنوادر من ضروب الشعر، وضروب الأحاديث ليخرج قارئ هذا الكتاب من باب إلى باب ومن شكل إلى شكل، فاني رأيت الأسماع تمل الأصوات المطربة والأغاني الحسنة والأوتار الفصيحة"[102].

حيث كان همه الوحيد هو الكلام، والخصام والتفرقة، فيوصفه انه يجيد ويعبر أو عند المقارعة والمناقلة، متجها مرة أخرى إلى جملة من المذاهب الأخرى لتأدية المعاني إرسالا مباشرا، ثم يقيده على نفسه ولا يدرسه احد، وكانوا أميين لا يكتبون ولا يقرءون، فخطباؤهم يوجزون ليسهل عليهم،"إن جميع خطب العرب، من المدر والوبر، والبدو على حزبين، منها الطوال ومنها للقصار، ولكل ذلك مكان يليق

---

[98]- د. عبد السلام هارون: البيان والتبيين، فضل العصا، ج1، ص ص 307 - 308.
[99]- المرجع نفسه، ص ص 305- 306.
[100]- د. عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي، ج2، ص 306.
[101]- د. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه، ص 166.
[102]- المرجع نفسه ، ص 167،

به"[103].وهذا ما جعل السعودي يقول عنه:" وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلو الأذهان، وتكشف واضع البرهان، لأنه نظمها أحسن نظم ورصفها أحسن رصف وكساها من كلامه أجزل لفظ، وكان إذا تفوق ملل القارئ وسآمة السامع خرج من جد الى هزل ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة"[104]

ولا سيما انه اهتم باللفظ والمعنى،هذا ما جعلنا نلمسه في استثمار الحوادث مع ربطها بالجانب الاجتماعي والفكاهي عنده فيقول:" المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي، والقروي البدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيير اللفظ، وسهولة المخرج وفي صحة الطابع وجودة السبك"[105]، ومن خلال قوله يرى انه كان يهتم بمعاني عصره وحياتهم بما فيها من جدة وبراعة، وفي ألفاظه سهولة وتكرار وازدواج من اجل أداء عمله بكل قوة وأناقة وكأنه في ذلك يتعصب للعرب للغتهم ولأدبهم ولفظهم الرشيق الأنيق الذي يؤثر في قلوب السامعين، واخذ هذا كله استثماره في البلاغة، اللغة، الأدب،...فبمقدار جماله ورعشته الفنية تكون هذه الحقائق والأقدار أجمل بكثير.

فهو معدن وجوهر الأدب شعرا ونثرا والبلاغة والبيان والبديع، فهذا الأخير يفي انه كلمة ذو معنى شريف ومعنى بديع، والشيء إذا كان غريبا كان أبدع وأفضل.

وهذا ما ساعد الجاحظ على العبث ببعض فئات عصره ليجعلهم، مادة خاما لكتاباته الأدبية الفكاهية ومن بين المصائب الكثيرة أو المشاكل التي تخص أفراد عصره التي اعتبرناها حافزا ناجعا ودافعا قويا في نفس الوقت له ليكتب في ميدان الهزل في المصائب النفسية التي وجدناها بكثرة في كتبه الفكاهية الجهل والسرقة والتلصص، والبخل والتطفل وكلام النساك...وغيرهم، حيث كانت صورا مفعمة بالحياة و الحيوية محاطة بالدعابة و السخرية، والاستخفاف مثل الهموم و المصائب التي كثيرا ما يقع فيها بخلاء البصرة و بغداد، فهي تبعث الرغبة في الضحك المستمر من هؤلاء البخلاء، وسخرية غير لا متناهية، فهم يحرصون على جمع المال، والتخلص من مواضع إتقانه وصرفه بطريقة ملفتة للانتباه والاستحقاق.

"وهذا ما جعله يكتب كتاب البخلاء الذي حضر عندهم، واكتشف حقائقهم فأضفى عليهم ذلك الطابع التهكمي والمرح والفكه، هذا من جهة ومن جهة أخرى بالشباك ويبدو الاحاييل المستوردة فينال بهما ما لم ينال بالسيوف المشروعة"[106]وها هو يقول في البخلاء :"وان وجدتم في هذا الكتاب لحنا، أو كلام غير معرب، أو لفظا معدولا على جهته فاعلموا أنا، إنما تركنا ذلك لان الأعراب يبغض هذا الباب وتجرحه من جره، إلا أن أمكن كلاما من كلام متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشباهه"[107].فهو يحكي دائما أخباره وحوادثه بلغتها الدقيقة، وفي ذلك غلبة الزخرف والتنميق علية، حيث ظل يظهر فيه من عصر إلى عصر، الكتاب ذوي الشخصيات القوية،"فالجاحظ حين تقرا له كتاب البخلاء تجد تحت عينك بغداد بقصورها و أكواخها وكل ما يموج بها من عادات وأطعمة وأزياء، ومن الأثرياء و الفقراء "[108].

---

[103]- د. أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار الملايين بيروت، ص ص 395-396.
[104]- د. فوزي عفوي: الحيوان للجاحظ، ج1، مكتبة حسين النووي، ينظر للوزارية، بيروت، ص ص 1 - 13.
[105]- د. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص 121- 122.
[106]- د. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي ، ص 306.
[107]- د. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص 163.
[108]- المرجع نفسه: ص ص 94 - 95.

وهاهي قصة من كتاب البخلاء تحت عنوان "البخل في نور المصباح"، "رغم أن أصحابنا، وان خراسانية، ترافقوا في منزل، فصبروا عن الارتفاق بالمصباح ما أمكن الصبر، ثم إنهم تناهدوا،وتخار جواء وأبي منهم، أن يعينهم وان يدخل الغرم معهم، فكانوا إذا جاء المصباح شدوا عينيه بمنديل، ولا يزالون كذلك إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح، فإذا اطفؤوه أطلقوا عينيه"[109].

كما استثمر واهتم بالفلسفة ودراسة قوانين وظواهر الكون بالشرح والتعليل، من اجل تبيين قوانين تسيره وثباته، هو ثم ينقل إلى باب آخر، هو اتخاذ النثر سلاحا للهجاء، ونجد ذلك في كتاباته في سخطه على البخلاء... والحمقى والرد على العصا... والتهكم والسخرية، وقد هجا محمد بن عبد الوهاب، وكان يوضح فيه إيراد حجة الخصم قبل نقيضها أي انه كان يقدم وجهة نظره مدعمة بالحجج والبراهين المقنعة، في مزاح مهذار، وخفة روح وجدل مرن، فهو أكثر منه شجاعة وبداهة، فقال من السعودي:"ولا يعلم احد من الرواة، وأهل العلم أكثر كتبا منه..."[110] ثم استدل بآيات قرآنية أخذها من عند المعتزلة، ولكنه تعمق فيها أكثر منهم، كقوله تعالى:«أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت، والى السماء كيف رفعت، والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت..»[111]، وفي استعماله نجد تلوين العنصر الصوتي، وحرص على هندسة الجمل، وعنايته بالأسلوب والإيقاعات الصوتية المختلفة، والذي زاده حدة هو النزاعات حوله، وكثيرا ما يشبه أسلوب الجاحظ بأسلوب ابن هارون وخاصة في التلوين العقلي والموسيقى.

ويستنتج من كل هذا أن حوادثه ترتب على ما يلي:

أولا: سيادة النظرة المنطقية للغة، وأدى ذلك إلى تشابه البلاغة بالخطابة

ثانيا: استقلال المعنى عن اللفظ، فالمعنى يوجد أولا، أو مستقلا ثم يتبعه اللفظ أو يقتضيه مما يدل على قصور في فهم عملية الخلق الأدبي على وجهها الصحيح.

ثالثا: المبالغة في العناية بالشكل، فالشعر صياغة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير وانتهى الجاحظ في هذا بمثل ما انتهى إليه الأصمعي الذي سئل ، من اشعر الناس فقال:"من يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا، أو إلى الكبير، بلفظه الخسيس"[112].

وفي معرض الحديث عنه لوحظ ا انه كانت حوادثه مفعمة بالحيوية، و يدس التهكم دسا خلال كتاباته ويتمثل ذلك في السخرية التي أضفى عليها طروادة وظهر ذلك جليا من خلال كتابيه، الحيوان والبخلاء والبيان التبيين، لأنه كان واسع الإطلاع ومرتبط بالحقائق والعلوم اشد الارتباط، والاحتكاك بالفلسفات الأخرى كاليونانية، الفارسية،...ومصادر أجنبية أخرى مثل تأثره بأرسطو.

"فتحت الصنعة الجاحظية مجالا آخر لاستغلال القوة العقلية لتبرير دوافعه، والذي يدفعه إلى استخدام ذهنه وقت الحاجة، من حيل وخدع كثيرة، والتي جاءت مكان الصراع الجسمي، وبهذا فيجب على الساخران يكون ذكيا في الموافقة بين سخريته وألاعيبه لأفراد المجتمع، ومن خلال كتاباته يبعث على الحرية وسرعة الخاطر والتلاعب اللفظي، والمنطقي، فالفكاهة، طبعا تحتاج إلى ذكاء حاد وتفكير جاد"[113]. كما

---

[109]- د. محمد بلقا يد: الجاحظ، البخلاء آثار أدبية، دار النشر والتوزيع، الجزائر، ط4، 1999م، ص 12.
[110]- د. محمد عبد الغني: مروج الذهب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2، 1983م، ص 344.
[111]- سورة الغاشية: آيات 17-18.
[112]- د. محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار الشروق، (د.ط)، 1414هـ 1994م، ص 252.
[113]- احمد عطية: سيكولوجية الضحك، ص 243.

يحكي الجاحظ في صنعته (كتبه ورسائله) عن الواقع:"ولا يتخفى الواقع ولا يتستر،حتى انه ليذكر العورات في غير مواربة، ولا مداجاة، فهو من أصحاب الواقعية Réalisme فهم لا ينافقون بل يصفون الواقع كما هو"[114]، وهذه النغمة للجاحظ فيها آثار واقعية كثيرة تحكي عن الحقائق يظهر مثل الزندقة وكلام المجانين، ومن النوكى والحمقى، والصعاليك واللصوص، وعن الخلفاء والوزراء الكبار، مثل ما نجده في كتاب البخلاء مثل سهل بن هارون والكندي وغزوان، والحاربي...وغيرهم.

فالجاحظ ولد بالبصرة، حيث كان يبيع الخبز والسمك بـ سيحان، ثم ترك أنهاره واتجه إلى انهار الثقافة في عصره آنذاك، وكان يتردد على الوراقين والدكاكين، وملهوف على القراءة والكتابة، والإبداع، مثلا في الشعر فقال عنه المبرد:" ما رأيت أفصح من أبي هذيل والجاحظ..."[115]،وقد كان الزيات، فلما قبض عليه فر الجاحظ خوفا من عقاب الخليفة فلما قبض عليه فاعترضه قائلا:"خفض عليك، أيدك الله؟ فو الله لأن يكون لك الأمر على خيرا من إن يكون لي عليك، ولأن أسى وتحسن أحسن في الأحدوثة، من أحسن وتسيء، ولأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل بل من الانتقام مني"[116]،فعفا عنه، ورجع إلى البصرة وألف هذه المصنفات، والتي يتعلق بها العامة والخاصة تعلقا شديدا وربما كان هذا من أسباب التنذر والدعابة، فقال عنه أبو الدؤاد :" إني أثق بظرفي" فيقولون أنها مكتوبة في ضروب من الجد والهزل، ومن طريق الجاحظ في ذلك انه قال عن نفسه "نسيت كنيتي"[117]، فلقد توفي، 655هـ ، فهذا السن الطويل ساعده على كثرة التأليف فلقد كان مشوه العينين فاصرف عنه الناس، ومرض شطرا طويلا من حياته ألزمه الفراش حيث ساعده ذلك على الكتابة والتأليف فألف عدة كتب وأشهرها كتاب الحيوان، الذي شكا فيه من مرضه والذي قدمه لزيات (ت 233هـ)، ويقول فيه متفكها:"جعلت كتبي مصحفا رأيت انظر فيها وأنا منتصبا استظهار على تعب البدن، إذا كانت الأسافل مثقلة بالأعالي، وإذا كان الانتصاب بسرعة في إدخال الوهن على الأصلاب"[118] و مرضه هو الفالج وأيضا ذكره في البخلاء، فيها فكاهة معقدة، فالمتندر يجمع بين فكرتين، ففي الوهلة الأولى، ليس هناك رابط بينهما، وهو في ذلك يحلل مميزات الفكرة الأولى ويتخير من بينهما، وهو في ذلك في الموضوع الآخر يختلف في جميع مميزاته إلا في هذه الناحية، فمصائب الغير كثيرا ما تضحكنا إذا كانت تافهة ولاسيما أن كانت قد رهبوها لهم، أو أكثر اعتداد بقدرته ويستعان بالفرصة للثأر منهم بضحكة ساخرة [119].

فالجاحظ مستقل في أعماله، وبوظائفه لديه فكاهة تظهر أحيانا بالسخرية الفاحشة في الهجاء على أسلوب آخر، فيتخذ الناس وسيلة من وسائل التصوير الفكاهي، من اجل إبراز الجوانب السلبية في المجتمع بإثارة سخريتهم ونقدهم للضحك وتقول وديعة في هذا المجال:" وبالرغم من إن جميع، طبقات المجتمع قد تعرض للنقد الساخر أو التعريض عن طريق الفكاهات من النوادر، فان هذه الفئات أو الطبقات تتفاوت على حظها من النوادر والحكايات التي تدور حولها، فكان لبعضها قسط أوفر من غيرها ولم يكن ذلك سببا

---

[114]- د. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص 162 - 163.
[115]- المرجع السابق: ص 156.
[116]- المرجع نفسه: ص ص 157- 158.
[117]- د. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ص 157- 158.
[118]- المرجع نفسه ص159.
[119]- د. نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، ص 28.

دائما من ظاهرة بعينها كأن يتندر الناس بأحاديث الطفيليين، أو البخلاء، أو المحتالين والمهرجين، والقصاص فان هذه الشخصيات أصبحت تستوجب التنذر بحكم ما يصدر عنها من أفعال وأقوال"[120].

فمن اجل هذا السبب كان لابد العبث بهؤلاء البخلاء، "فقد اخذ الجاحظ في كتابه البخلاء بكشف حقيقتهم وإبطال ادعاءاتهم، التي كانوا يتضرعون بها في الدفاع عن البخل والشح والتطفل، فأراد من وراء ذلك علاج هؤلاء المرضى، وبذلك استعمل أسلوبه بين الجد والهزل إلى جانب علاج ظاهرة اجتماعية ألا وهي البخل، ومحاربة العادات والأساطير والخرافات السخيفة ويظهر ذلك جليا في رسالته"التربيع والتدوير"، والتي أنجزها في الحقيقة لخصمه احمد بن عبد الوهاب، رافعا عنه القناع الذي تقنع به، ومبطلا ادعاءاته ولم تكن به أي صلة بالعلم والمعرفة بل كانت لديه الجرأة أن يروي عن نفسه وكل ما كان يتورط به من مصائب ومواقف هزلية كقصة "مع الدبان"فلم يجد منفذا لتصبح في الأخير مصدرا للتنذر والتهكم والسخرية"[121].

فكيف كانت لغة الجاحظ الهزلية وكيف وظفها؟

---

[120]- د. وديعة طه نجم: الفكاهة في الأدب العباسي، في عالم الفكر، الكويت، (د.ط)، 1912م، ص14.

[121]- د. عمر أبو النصر: أثار الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، ج1، 1925م، ص 49.

الفصل الثالث

ملامح اللغة الهزلية في أسلوب الجاحظ

التلاعب اللفظي.

الملالغة في توظيف اللفظ.

التصوير.

الإستفزاز.

الإستطراد.

الإيجاز والإطناب

أ ـ التلاعب اللفظي:

هذا العنصر يقاس بمدى قدرة وعظمة الأديب، إذ ليس من السهل التلاعب بالألفاظ والتحكم فيها واستعمالها بالكيفية التي يريد باعتبار أن لها القدرة على التحكم في الصناعة اللغوي، فالساخر يحكم

بديهته، وفطنته يحاول التصرف في الكلمات من خلال التقديم أو التأخير أو الحذف أو حتى الزيادة إذا لزم الأمر ذلك، وكل هذا ليس من قبيل إظهار القدرة والمهارة بل من اجل العبث ولفت الانتباه وبخاصة انتباه الخصم وهز أعصابه وليس إلا.

ويظهر التلاعب جليا في المدح المقصود من وراءه الذم (الهجاء المبطن) ولعل الجاحظ من رواد ومستعملي هذا التلاعب بكثرة، هذا ما دلت عليه كتبه من خلال عباراته و ألفاظه الساخرة ومثال ذلك قول ابن عبد الرحمان فيما رواه الجاحظ من خلال كتاب البخلاء وهو يوصي ابنه:"أي بني، إنما صار تأويل الدرهم دار الهم، وتأويل الدينار يدني من النار"[122].

فهذه العبارة خير دليل على ما قيل سلفا فهي تحمل بين طياتها تلاعبا لفظيا واضحا من خلال كلمتي "الدرهم" والتي تتكون من كلمتين هما "دار" "الهم" وكذلك الأمر إلى لفظة "الدينار" وإضافة إلى قول آخر للجاحظ علنا نستدل به أكثر حيث يقول:"قلت لغلامي نفيسا بعثتك إلى السوق في حوائج، فاشتريت ما لم أمرك به،قال: يا مولاي، أنا ناقة وليس في ركبتي دماغ"[123].يلاحظ من خلال الفقرة السابقة مصطلح التلاعب، أو الفبركة والصنعة اللغوية، تضاف إلى كتابات الجاحظ، حيث نجد نفيسا استعمل كلمتي" ركبتي" في غير موضعها، بدلا من لفظة "عقلي".

فهذا التلاعب هو من وحي الفكاهة التي أعطيت لنفيس القدرة على التلاعب، والتحكم في الألفاظ وحتى الصياغة اللغوية، كيف لا؟ وهو أحد أكثر المقربين من الجاحظ وجلسائه الذين تأثروا بشخصيته المرحة الساخرة، وهكذا كان الحال بالنسبة لمعاشريه.

"لقد أتقن الجاحظ التلاعب بالالفاظ والعبث بها، فتكاد تكون تلك السمة الغالبة ليست على كتاباته الساخرة فحسب، بل وصلت حتى الكتابات جادة المواضيع، فكانت روحه تواقة إلى المزج بين الجد والهزل الذي مكنه من تعميق نظرتنا للواقع، واخذها بعين الجد عن طريق الهزل، ذلك لأن الأديب الساخر هدفه من كل ذلك هو استدعاء الضحك.

هذا ظاهريا أما باطنيا فقد يكون هدفه من كل ذلك أكبر وأسمى من ذلك، كأن تكون هي نتاج مزاجه وتجربته في الحياة لكي يكون تعبيرا وبطريقة خاصة عن رفضه تقاليد مجتمع لا طائل منها، أو أن أخلاق ذلك المجتمع اصطناع زائف النوايا[124].

ب- المبالغة في توظيف اللفظ:

ويأتي ذلك بلجوء الأديب الى "استعمال أسلوب فخم لا يتناسب مع تفاهة الموضوع المعالج أو أن يجمع الساخر بين فكرتين متعارضتين، فهذا العنصر عده المحللون من أهم العناصر التي تشكل العمل الهزلي، فإذا استعرضنا طوائف الذين جعلهم المندرون هدفا لفكاهتهم وسخريتهم اكتشفنا أن مصدر الفكاهة هو التناقض البارز بين هؤلاء وحقيقتهم[125]".

122- د. نعمان محمد أمين طه: السخرية في الأدب العربي، ص 187

123- د. فتحي محمد عوض أبو عيسى: الفكاهة في الأدب العربي، ص 218.

124- ينظر:د. فتحي محمد عوض أبو عيسى: الفكاهة في الأدب العربي، ص218.

125- د. أحمد عطية الله: سيكولوجية الضحك ، ص 225.

فهذا يعني أن جمالية التعبير لا تظهر إلا بوجود التناقض الحاصل بين باطن الشيء وظاهره والمفارقة قد تبدو واضحة وقد يكون عميقة لا يدركها إلا صاحب فطنة.

من خلال القول السالف نلاحظ أن التناقض لا يكون ظاهرا جليا في كل الأعمال الأدبية فقد يكون بارزا وواضحا يلتمسه عامة الناس، وقد يتخذ طريق الغموض والتشابك لا يفك شفرتها إلا سريع الفهم وقوي البديهة.

وأكثر هاته المواقف تلك التي تتطلب تصوير الحقيقة بأسلوب يوحي إلى نقيضها، ومثال ذلك أن تأخذ السخرية اللاذعة صورة المدح، هذا في ظاهرها أما في باطنها شيء آخر غير ظاهر، ذلك الذي يحمل كل أنواع الذم والهجاء، إذ يقول احمد عطية الله في هذا المقام: "وقد تكون المفارقة باستخدام نعوت وصفات لا تتجانس مع طبيعة الموصوف، فتبدو للسامع منافية لمنطق الاشياء أو أنها تبدو لناقضها هذرا لا معنى له[126]".

كثيرا ما تقترن المفارقة بعنصر المبالغة فتجده في أغلب الأحيان يلجأ إلى تضخيم العيوب النفسية والجسمية لخصومه وبخلائه، الذين كانوا مادة لكتاباته الساخرة.

ج – التصويـر:

يلجأ الأديب إلى التصوير بإعتباره عاملا مهما بتوظيفه في أعماله، وذلك من خلال عرض حوادث أعماله، فمن التصوير تتحدد درامية أو فكاهية المنتوج الأدبي ومن هنا كانت أساليب التصوير.

لا شك أن الجاحظ كان من أهم الكتاب الذين تبنوا هذا العامل المهم ألا وهو التصوير، فلجأوا إلى توظيفه في أعمالهم، حيث كان فنانا بالقلم والكلمة بل وحتى الصورة، فكان مصورا بارعا حيث تذوق قراءه حسه الفني لأعماله التي جاءت بها فريحته فجاءت صورة حسية في لوحات أدبية، فكل ذلك لم يكن وليد المصادفة، بل كان نتيجة الذكاء الحاد والبصيرة النافذة حتى في أبسط الامور فهذا كله يوحي بالأرضية الخصبة التي يرتكز عليها خيال الجاحظ.

لقد وجد التصوير في أدب الجاحظ على ثلاثة أنواع:

1/ التصوير الكاريكاتوري.

2/ التصوير القصصي.

3/ التصوير النفسي.

1- التصوير الكاريكاتوري:

وهو قدرة الاديب على رسم صورة في كل ملامحها للشخص المسخور منه عن طريق المبالغة في نقل عيوب جسمه الحقيقية، مما يضفي على الصورة مسحة من السخرية والاستخفاف، "فالكاريكاتور

---

[126]- د. أحمد عطية: سيكولوجية الضحك ، ص 248.

هو عرض مصور للأشخاص بطريقة هزلية، أو هو تصوير فكاهي مبالغ فيه يتناول فيه الساخر التناقض والعيوب الحسية للمجتمع أولاحد أفراده[127]".

ويظهر التصوير جليا عند الجاحظ وبصورة ملموسة في كتاب البخلاء حين كان بصدد تصوير طريقة أكلهم وتملصهم من الإنفاق في قالب هزلي يجعلك ترسم لهم كاريكاتورية في ذهنك.

2- التصوير القصصي:

يعتمد هذا العنصر على دقة الملاحظ والخيال اللذين يجب أن يتوفرا في الأديب من أجل نقل المشاهد بصفة مطابقة للواقع والحقيقة.

والجاحظ واحد من هؤلاء الذين يمتلكون هاته المؤهلات التي ساعدته كثيرا في عملية القص ونقل واقع عصره بكامل تناقضاته، فلم يبق كبيرة ولا صغيرة الا وتحدث عنها أي لم يغب عنه شيء على المستويين سواء كان الباطن للنفس البشرية أو الخارجي للخلقة الانسانية.

لقد غزا التصوير الكتابات الجاحظية، إذ نجده يلجا في الكثير من الأحيان الى الطابع القصصي كما هو الحال في هذه المقطوعة إذ يقول:

"وما ظنكم برجل نهش بضعة لحم تعلاقا، فبلغ ضرسه وهو لا يعلم فعل ذلك عند إبراهيم بن الخطاب مولى سليم، وكان إذا أكل سم ذهب عقله وجحظت عيناه وسكر وإنبهر وتريد وجهه وعصب ولم يسمه ولم يبصر فلما رأيت ما تعتبره وما يعتري الطعام منه، صرت لا اذن له ونحن نأكل التمر والجوز والباقلي...[128]".

نلاحظ من خلال هذا القول: إن الجاحظ يضع هذا البخيل في صورة يكاد ينطق فيها اللفظ والمعنى، وذلك من خلال التشبيهات والتعابير التي استعملها والتي تشير الى شدة حساسية البخيل وبغضه لمن يشاركه طعامه، ومن خلال هاته القطعة نحس بالقوة التي وصل إليها في مجال التصوير القصصي حيث اعتمد على بصيرته، إذ يمكن أن نضع لهذا البخيل صورة حسية في أذهاننا وهو يأكل كأننا نراه بالعين المجردة لا الخيالية، دون استعمال استعارات وتشبيهات إلا ما استلزمه بموقف لتقوية ملامح الصورة.

3- التصوير النفسي:

يركز المصور الساخر في هذا الجانب على النفس الإنسانية، أي أن يتجه الى وصف الأمور الباطنية للنفس الإنسانية، وذلك كله في قالب هزلي يثير العبث والسخرية مثل وصف العادات والاخلاق، وبخاصة النقائص و العيوب الذاتية وأثرها في المجتمع من خلال تصوير صاحبها في بعده الجسمي وحركاته وأقواله، على أن تكون التفاصيل الدقيقة الخارجية معبرة عن دخيلة النفس وبواعث الفعالها، "ويتطلب هذا التصوير مقدرة فنية نادرة، وحتى تتضح المدلولات المستعصية دون أن يفطن أكثر الناس

---

[127]- المرجع السابق، ص 248.
[128]- د. نعمان أمين طه:السخرية في الأدب العربي، ص 176 .

لدلالتها وتتألف مجموع الخصائص والسمات واحدة تبنى على نمط حي من الناس محددا كل التحديد ولا يشتبه بالغير...[129]".

نستكشف من خلال هذا القول أن الصورة الخلقية ترتكز على الأمور الدقيقة للواقع الخارجي وما لهذه الامور من مدلولات خفية نستدلها من خلال المعالم الخارجية للذات البشرية، وبالتالي فإن التحليل النفسي ترجمة للعواطف والانفعالات والميولات الذاتية، فتصوير الآفات الاجتماعية وأفراد المجتمع ما هو ألا انعاش لمعان إنسانية محددة.

فالجاحظ أدرى بطباع النفس الإنسانية وميولها من بخل، وتتضح هذه الأخلاق في كتابيه:"لصوص النهار وسراق الليل"، "البخلاء" فهذان الكتابان اللذان حاول من خلالهما التعرض لطبائع هؤلاء، وتحليل نفسياتهم وحركاتعم وعقلياتهم، نجده قد نجح في قراءة ومحاكاة اعماق النفوس البشرية، فكان عالما نفسانيا ومحللا بارعا، ومن نماذج هذا التصوير في ادبه قوله في قصة الكندي قال: حدثني عمر وبن نهنيوي قال: "كان الكندي لا يزال يقول للساكن ربما قال للجار ان في الدار امراة بها حمل او الوحمي، ربما اسقطت من ريح القدر الطيبة، فإذا طبختم ثردوا شهوتها بغرفة أو لفقة، فإن النفس يرددها اليسيرفإن لم تفعل ذلك بعد اعاللامي اياك فكفارتك ان اسقط غزة [130] عبد او امة، اعلامي ايا الزمت ذلك نفسك ام ابيت...قال فكان ربما يوافي الى منزله من قصاع السكان والجيران ما يكفيه الأيام....[131]".

إن هذه الفقرة الفكاهية تعكس لنا بيئة البخيل، هذا بالاضافة الى المعايير الخفية التي يستتر خلفها البخلاء من خلال تصرفاتهم من حركة وسكون وانفعال، فقد لجأ الى البخلاء الى تلك الحيل لكي يثيروا عطف الغير لبلوغ اهدافهم وخبرته استطاع ان يصل الى اعماق النفس الانسانية ويدرسها بقلمه الهازل من خلال ملاحظة خطوات هذه الفئة من الناس، فعرضها على شكل قصص طبعها بطابع السخرية لتاخذ بذلك طابعا جديدا فميق الحدود.

د- الإستفزاز (الجدل والحوار):

وتعني به قدرة المتكلم على الكلام في اثبات الحجة اظهار البيئة على الخصم. وهذه الظاهرة ليست جديدة، بل كانت منتشرة في العصر العباسي بين حلقات المتكلمين امتزاج الثقافتين العربية واليونانية.

ومن مرادفات الجدل والحوار نجد المناظرة او المنافسة او المناقشة والتي كانت قائمة بكثرة انذاك خاصة في حلقات المتكلمين اي المعتزلة.

"والجاحظ لم يعطينا اي تعريف لاحد هذه المصطلحات غير ان استنطاق بعض النصوص يقودنا الى بعض الاستنتاجات منها ان الجدل مذموم ما لم تكن غايته اظهار الحقيقة بصدق وانه مستكره متى اقتصر الامر فيه على النقاش....[132]"

---

[129]- د. أحمد عطية: سيكولوجية الضحك، ص 123.
[130]- غزة : سذاجة.
[131]- د. طه الحاجري: الجاحظ حياته و آثاره ، ص 430
[132]- د. نعمان أمين طه: السخرية في الأب العربي.

وعليه فالجاحظ كونه معتزليا بالدرجة الاولى كان احد متقني هذا الفن، ومن اكثر الناس استعمالا له خاصة في اقامة الحجة على خصومه فهو القن ذو الحدين، حيث انه بامكان مستعمله ان يرفع شأن من يشاء ويحط شان من يشاء لدرجة ان القارئ يظن الممدوح ليس له شيء يعيبه والشيء نفسه بالنسبة للمذموم، اذ يجعله لا يمتلك وجه الجمال فمن هنا تكمن قوة الجاحظ في الجدل والحوار.

لم تنشأ هذه الميزة من الفراغ فقد كانت مستوحاة من قدرة المتكلمين اي معاصريه الذين كانوا يتقنون فن المناظرة أيما إتقان. ولب الكلام أن الجاحظ كان يمتلك هاته القدرة الجدلية التي مكنته من التحليل الاسلوبي، حيث طبق تلك الصفقة على الفئة الساخرة وغير الساخرة وفي هذا المجال ندرج هذه القطعة التي جرى فيها مجرى المناظرة.

"و عيتموني حين زعمت اني اقدم المال على العلم لان المال به يغتث العالم وبه تقوم النفوس قبل ان تعرف فضيلة العلم، وأن الاصل احق بالتفضيل من الفروع، وإني قلب وإن نستبين الأمور بالنفوس فإن بالكفاية نستبين[133]".

لقد وظف الجاحظ في الفقرة السابقة قدرته على الجدل التي تبدو و أنها تشع بالطابع الفلسفي اليوناني، فقد احتج لرأيه واستدل لفكرته تقديمه للمال الى العلم لأن المال هو الأصل في كل شيء وهو أحق إذا بالتفضيل وقد وصل شعاع هذا التعبير الفلسفي الى الأدب الساخر، بل وحتى الكتب الدينية والعلمية حيث وظف فيها المفاخرة والإنتصار لطائفة معينة اعتمد فيها على قدرته الجدلية في الحجة للشيء وضده كما نراه قائما في كتاباته المليئة بالتناقض والاستطؤادات.

و- الاستطراد:

ويعني الخروج عن الموضوع الرئيسي إلى موضوعات جانبية ليست لها أية صلة بالموضوع المتطرق إليه بالدراسة. أو بصيغة أخرى هو عدم الإلتزام بالبقاء في اطار موضوع واحد، أو هو بصيغة أكثر تعبيرا أن يتخلل الموضوع الأصلي بعض المواضيع الفرعية التي ليست لها أية علاقة بالموضوع قيد الدراسة.

وقد ظهرت هذه الظاهرة بصفة جلية في كتابات الجاحظ ذات الطابع الفكاهي وغير الهكاهي، ختى اصبحت صفة لصيقة باسلوب في كل الموضوعات، فعند دراسة كتاباته نلاحظ تنقله الذكي بكل براعة من موضوع لآخردون أن يحس القارئ بأي فراغ أو خلل في الاسلوب وذلك كله تابع عن قوة الأديب وتتضح هذه الصفة بكثرة في كتابي "الحيوان"،"البيان والبتيين".

إذ نجده في كتاب الحيوان يذكر لنا الطريقة التي سلكها اثناء تأليفه حيث يقول:"ومن خرج من لآية القرلآن صار إلى الأثر، ومتى خرج إلى الخبر ثم يخرج من الخبر إلى الشعر ومن الشعر إلى النوادر، ومن النوادر إلى حكم عقله، ومقياس سداد ثم لا يترك هذا الباب لعله اثقل والملل اليه اسرع حتى يضفي به إلى مرح وفكاهة إلى سحق وخوافة ولست اراه سخفا وإنما استعملت سيرة الحكماء والأدباء والعلماء....[134]".

---

[133]- المرجع السابق: ص 199 .
[134]- الجاحظ: الحيوان، ص 93.

لم تكن هذه الظاهرة بسبب قصور الجاحظ، وعدم قدرته على التعبير واتمام الموضوع بالخروج إلى مواضيع أخرى لا علاقة لها بالموضوع الأصلي لا من قريب ولا من بعيد، بل تعتمد اللجوء إلى هاته الظاهرة وذلك خوفا من الملل الذي قد يصيب القارئ فكانت بمثابة المذهب الذي يحذوه في كل مؤلف وهذا ما دفع بالدكتور زكي مبارك إلى القول:" في رأي أن الجاحظ وصل إلى درجة الغلو والإملال ولولا أنه كان يخلط في كتاباته بين الجد والهزل والحلو والمر، لانصراف الناس عنهم ولكنه كان رجلا عالما بطباع الناس وغرائزهم، فاستطاع بذلك ان يتملق اهوائهم، وأن ينسيهم برقته ودعابته وحلاوة استطراد واسرافه في اسلوب وتطويله الذي عرف به فاضطر للدفاع عنه في مقدمة كتاب الحيوان..."[135]

لقد صرح الجاحظ بعبئ هذه الظاهرة ويرى انه اضطر الى توظيفها في كتبه لعدة أسباب يذكرها في قوله: "وسنذكر قبل ذكرنا بهذا الباب أبوابا من الشعر طريفة تصلح للمذاكرة، وتبعث على النشاط، ولولا سوء ظني بمن يظهر التماس العلم في هذا الزمن ويظهر اصطناع الكتب في هذا الدهر لما احتجت إلى مداراتهم، واستمالتهم وترقيق نفوسهم وتشجيع فكوبهم..."[136].

لم تسلم اعمال الجاحظ من الخروج عن الموضوع الواحد والتنويع، هذا بالرغم من انه كان يقوم بمعالجة موضوع واحد، كما هو الحل في كتاب البخلاء.

إذا فإن الاستطراد أو التنوع في الموضوع الواحد صفة فنية التصقت بأدبه وعرف بها حتى اصبحت احدى خصائص اسلوبه، والتي اصلته الى ان يكون رائد من رواد الأدب وساعدته على تجديد نشاط القارئ وذلك كلما تسرب اليه ملل وتشويقه بالفكاهة والنوادر.

هـ - الإيجاز والإطناب:

لقد تراوحت أعمال الجاحظ خاصة الهزلية منها بين الإيجاز حينا والإطناب حينا لآخر فعند تصفحنا لكتبه الفكاهية خاصة نراه يطلب مرة ويوجز مرة اخرى وذلك على الرغم من زميله إلى الإطناب في أكثر الأحيان، وذلك أثناء عرضع للنوادر والتي تتعلق ببيئة فتراه إلى الإيجاز والقصر في اتلجمل وايراد الحادثة بحيث لا تكاد تتجاوز جملة واحدة.

"لأن السخرية تتطلب أحيانا الإختصار والإيجاز الشديد لأنها كاللمحة او السهم الصغير الذي يزيد في إيلامه كلما دق حجمه..."[137].

وربما كانت هذه الميزة هي التي طبعت كتابات الجاحظ بصفة الخفة والجمال والبسته حلة فريدة من الجمال الفني، فجلب إليه بذلك جمهورا عريضا من القراء، وذلك لا شيء سوى لخفة خاطره وخير دعوة إلى هذه الظاهرة ما ورد في كتاب "البيان والتبيين" الذي اقتطفت منه بعض الاقوال كقول عمرو بن العاص: "الكلام كالدواء،إن قللت منه نفع وإن أكثرت منه صدع...."[138].

ونجد هذه الظاهرة قد اخذت حظها الوافر في كتاب البخلاء "وقد نعتوه-الجاحظ- فيما نعنوه بالإطناب لكن الإيجاز في هذا الكتاب قد يكون أغلب وقد يشتد احيانا حتى يقارب الإبهام لينبهك،جمل

---

[135]- د. شوقي ضيف: الفن و مذاهبه في النثر العربي، ص 12.
[136]- د. فتحي محمد عوض أبو عيسى: الفكاهة في الأدب العربي، ص 93.
[137]-د. جورج غريب: الجاحظ دراسة عامة، ص 53.
[138]-د. أحمد عطية: سيكولوجية الضحك، ص 125.

نثرت هنا وهناك تتريث عندها وتتلبث لا يصير اليها سبيلا بفرط إيجازها واستحكام اندماجها ثم لا تنفك تعاودها حتى ينفتح لك مغلقها...[139]".

ومن النوادر، والقصص القصيرة التي ذكرها الجاحظ في كتاب البخلاء، تلك التشنيعات التي كثيرا ما كان يبالغ فيها، وها هو كعادته يشنع على صاحب له لا يسميه فيقول:"أكل عنده يوما وأبوه حاضر وإبن له يجيء ويذهب فاختلف مرارا كل ذلك يرانا نأكل:

فقال الصبي: كم تأكلون لأطعم الله بطونكم

فقال ابوه: "وهو جد الصبي، ابني ورب الكعبة...[140]".

خاتمة:

إن خاتمة بحثنا هذا عبارة عن نتائج متوصل إليها ومن خلال ما جنيناه: دلالة الهزل عند الجاحظ وحقيقته، ويمكن القول:

- بالرغم ما عناه الجاحظ من الحياة الفقر والحرمان لم يمنعه ذلك من المواصلة في رسالته بل بلغ في مجال العلم والمعرفة فهو درة من درر العصر العباسي.
- رغم بشاعة شكل الجاحظ والنقائص الجسمية وما لقاه من نفور من جراء ذلك إلا أننا نقول إن تلك النقائص الجسمية كانت وراء دعابته المرحة وسخريته من نفسه ومن أعز أصدقائه.
- زاوج الجاحظ بين الجد والهزل، وأدرك أن المزاوجة بينهما تذهب برتابة الحياة وتخفف من ثقلها وان تقديم الهزل بين يدي الجد انفع له وادعى إلى إقبال الناس عليه.
- وتتضمن لغة الجاحظ الهزلية معايير جمالية فنية بأساليبها الفضفاضة في أدب وفن يصلح لأن يوزع على جميع الاتجاهات والنزعات والفنون والأغراض التي عرفت في عصره، وعليه يمكن القول أن:
- الجاحظ أديب بلا منازع، لطيف الروح، فكه المحاضرة، صادق المواساة وسريع البديهة، حاضر النكتة يقبل عليها مقبلا على الحياة متفائلا بها لا يرى منها إلا وجهها المشرق، يسجل الفكاهة حتى ولو كانت على نفسه.
- يعد الجاحظ اقدر الناس حجة يستهزئ بكل أمر، شخصية بارزة في كل شيء وفي آرائه شخصي متكلم وفي إنشائه أديب.

---

[139]- محمد عفيف الزغبي : أبو عثمان الجاحظ: البخلاء، دار الموضوعات الحديثة العربية، السعودية، ط3، 1989، ص 120.

[140] - د. طه الحاجري: الجاحظ أبو عثمان: البخلاء، ص 210.

- فالجاحظ ضحك واضحك، فضحك لمواقف واضحك الناس بها، فالهزل أعطى دلالات وجماليات لكتاباته فطبعت بطابع خاص، إذن كان الأدب هو الإلمام بكل فن، فالجاحظ هو الأديب، هو الكاتب الفريد من نوعه.
- ويبقى الجاحظ ذلك الرمز العربي للأدب العربي.

قائمة المصادر والمراجع

أ ـ المصادر:

1. الجاحظ: البخلاء، بيروت (دار الصادر، بيروت)، (د، ط)، (د، ت).
2. الجاحظ: الحيوان، (بيروت)، (د، ط)، (د، ت).
3. الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق و شرح، عبد السلام هارون، مكتبة الخارجي، (د، ط) (د، ت).
4. بن منظور أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، المجلد 10 و 13، دار الصادر، بيروت (د، ت)، (د، ط).

ب ـ المراجع:

1. أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين
2. الجاحظ: أبو عثمان بحر بن عمرو، البخلاء، تحقيق طه الحاجري، دار المعارف، مصر 1963م.
3. أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، قيروان، زهر الآداب وثمر الألباب، ضبطه وشرحه وعلق عليه الدكتور يوسف علي الطويل، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
4. أحمد الطويل: أبو عثمان، دراسة منتخبات، الشركة المصرية للتوزيع، 1983م.
5. الجاحظ: البيان والتبيين، ج1- ج2- ج3، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط 3، (د.ت).
6. الجاحظ: آثار أدبية تحت إشراف الأستاذ محمد بلقايد، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 1999م.

7. أبو عثمان عمرو بن بحر: آثار الجاحظ، قدم له وأشرف على تنظيمه عمر أبو النصر، سنة 1929.
8. أحمد عطية عبد الله: سيكولوجية الضحك، ط2، دار النهضة العربية، (د.ت).
9. حسين الحاج حسن: أعلام في النثر العباسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1993م.
10. جورج غريب: الجاحظ، دراسة عام، سلسلة الموسوعة في الأدب العربي، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت لبنان.
11. جميل جبر: بقلم الجاحظ، نوادر الجاحظ، دار الحضارة، (بيرتوتة) الجزائر.
12. زكريا إبراهيم: سيكولوجية الضحك والفكاهة، مكتبة مصر، القاهرة.
13. شكر عياد: القصة القصيرة في مصر، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.
14. شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف القاهرة مصر.
15. طه الحاجري: الجاحظ حياته وآثاره، دار المعارف بمصر، ط2، (د.ت).
16. طاهر أحمد مكي: دراسة في مصادر الأدب، ج1، دار العارف بمصر، ط1، 1968.
17. شارل بلا: الجاحظ في البصرة وبغداد وسمراء، ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
18. عبد العزيز شرف: أدبيات الأدب الفكاهي، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر.
19. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي (الأعصر العباسية)، ج2، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.
20. عمر الدقاق: ملامح النثر العباسي، دار الشروق العربي، بيروت.
21. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، 1973م.
22. مفيدس أبو مراد: البخلاء، ج2، منشورات مكتبة سمية، بيروت.
23. فتحي محمد عوض أبو عيسى: الفكاهة في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1990م.
24. محمد بركات حمدي أبو علي: سخرية الجاحظ من بخلائه، (د.ط)، (د.ت).
25. محمد عبد الغني الشيخ: النثر الفني في العصر العباسي الأول اتجاهاته وتطوراته، ج1 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
26. محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ط1، 1994م.

27. محمد علي الخطيب: الصراع الأدبي مع الشعوبية، الجاحظ الشاعر القروي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع.
28. محمد الصغير بناني: النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ، من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1994م.
29. مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العرب، قسم الآداب، دار العلم للملايين.
30. محمد أمين نعمان طه: السخرية في الأدب العربي، عن أدب الجاحظ السندوبي، عن Homs worths universal, Encyclo V. 5 p-4315.
31. محمد عفيف الزغبي: أبو عثمان بحر بن عمرو الجاحظ.
وديعة طه النجم: الفكاهة في الأدب العباسي، في عالم الفكر، الكويت، 1982م.

فهرست الموضوعات

الإهداء والتشكرات

مقدمة ..... أ

المدخل 2

الفصل الأول: ترجمة ذاتية للأديب

مولده 9

نشأته 10

حياته الاجتماعية..... 11

حياته الفكرية..... 13

آثاره.....
15
وفاته
.....21
الفصل الثاني: تعريف الهزل و دوافعه
تعريف
الهزل.....24
دوافعه.....
26
- المبرر
البيولوجي.....26
- المبرر الفزيولوجي
.....28
- صفاته و شذوذ خلقه
.....29
- المبرر الفطري
.....33
- استثمار
الحوادث.....34

الفصل الثالث: ملامح اللغة الهزلية في أسلوب الجاحظ

التلاعب اللفظي.....42

المبالغة في توظيف اللفظ.....43

التصوير.....43

الجدل و الحوار.....46

الاستطراد.....47

الإيجاز والإطناب.....48

الفصـــــــل الرابع: دراسة تطبيقية لبعض ملامح اللغة الهزلية عند الجاحظ من خلال البخلاء

تمهيد لكتاب البخلاء.....51

الإطناب.....53

التصوير الكاريكاتوري.....53

التلاعب اللفظي.....54

المبالغة في توظيف اللفظ.....54

التناقض.....55

الخاتمة.....56

قائمة المصادر و المراجع.....57

فهرست الموضوعات